

ایک فنیل بیس

الحجۃ
وقصص انبیاء

جملة أقاصيص من صميم
الحياة

خطوات الحياة (قهقهة الباطل)

مجموعة أقاصيص

حلوه ومره

٢٤ قصة من أروع ما
جاءت به قريحة القصصي
الفنّان جدي موباسان

مختارات من قصص موباسان

مغامرة بوليسية غرامية
مغامرة بوليسية غرامية

أنا القضاء (سلسلة الأهوال ١)

مستدسي سريع (سلسلة الأهوال ٢)

مجموعة أقاصيص

الجبناء وقصص أخرى

تحت الطبع

طرفة الكاتب الفرنسي
تيوفيل غوتييه

مداموزيل دي موبان

المقدمة



هذه مجموعة أخرى من القصص ، أقدمها للقارىء العربي ، بعد أن أخرجتها إخراجاً حسناً ، حتى تروق له فتلقى تأييده وتشجيعه وإقباله

وتوخيت في هذه المجموعة الإخلاص التام في السرد والعرض - فلا لبس ولا تمويه ، ولا عقدة تافهة تدور حولها الحوادث تترى يتابع بعضها بعضاً ، بلا غاية ولا نهاية

كما توخيت اللفظ الجزل والبعد عن « الأسلوب الركيك » الذي يسمونه اليوم « السهل الصعب » ويضيفون عليه من التثناء والاحراء والتقريظ ، ما يزري بلغتنا ويظعننا في صميم عزتها ومكانتها كافة عريقة فضيحة متينة

أما بصدد الحوادث ، فهي من وحي الساعة ، اقتبستها من صميم الحياة ، وسكبتها في بوتقة روائية ، وألبستها الحلة التي تصلح لها وتجعل منها مادة خليقة بأن تقرأ ويعاد تلاوتها

ولقد حرصت على الاجازة، فلم أطنب فيما لا طائل فيه، ولم
أسهب فيما لا جدوى منه، حتى يسلم القارىء في عصر السرعة
والتسابق هذا، من الضيق والبرم، ومن الضجر والسأم، إن هو
اضطر الى نيل اللذة الادبية بشق النفس، واجتناء المتعة الفنية
ببلوغ الروح التراقي!

اصيل هليل يمين

الجبناء



واهاً لتلك المدينة الصغيرة الزاهرة ! من يظن انها كانت يوماً ما مسرحاً لأعظم فاجعة دامية عرفها تاريخ هذه البلاد ؟ من يظن انها شهدت مأساة مروعة زلزلت كيانها ، ودكت بنيانها ، وطوحت بالقائم فيها ، وأراقت الدماء الزكية ، فحُضبت تربتها بلونها القانيء ، وروت ثراها بفيضها الزاخر ، حتى أصبحت كل دوحة فيها وكل أكمة ، تتحدث بما أهرى على جذعها في ذلك اليوم الاسود المشؤوم من الدماء البريئة ؟

من يظن أن هذه المدينة التي كانت منذ اعوام ، قرية آمنة هادئة ساكنة جائمة على سفح الجبل ، مستسلمة للقدر ، متسريلة لبوس الدعة والاطمئنان ، قد أضحت في مثل فتحة عين وغمضتها شعلة متلظية من نار وحلبة دامية لأعنف وارهب صراع بين الحق والباطل .. والاخلاص والفساد .. والاقدام والجبن ؟

فمن إحدى القن المشرفة على المدينة ، تبدو الدور الجديدة التي



شيدت على اطلال تلك القرية المدرسة المنظمة كما تبدو الرياض المحضرة
والبساتين المحضلة التي اينعت فيها المزروعات بصورة لم يسبق لها
مثيل ، وكأنها تفتت باندماء ، واستمدت القوة والنشاط من الجثث
والأشلاء !

وما أكثر ما قص المدجون والمفلسون القصص المثيرة عن
الاشباح الرهيبه ، والاصداء التي تتجاوزها التلال والوهاد في تلك
النواحي ، وعن اصوات العويل والأنين التي تتصاعد كما جن الليل ،
من صدور أولئك الذين قضى على حياتهم جبروت ابناء صهيون
الجبناء وطغيانهم !

وما أكثر ما تحدث الركبان عن صفات الطبيعة الهاججة المائجة ،
التي كانت تزجر زجرتها الدموية المهولة ، وكأنها تعلن عن غضبتها
ونقمتها لما اصاب القرية من المحن والكوارث !

وما أكثر ما تصاعدت أعمدة الدخان الى عنان السماء ، من
المداخن المنتشرة بكثرة ، وتراءى من خلال هذه السحب من
الدخان المتكاثف وجه فاطمة الجميل التقاطيع ، وبشرتها الناعمة البضة ،
ورأسها ذو الضفائر المذهبة المتهدلة على كتفها ! ما أكثر ما تراءت
وهي ساهمة الطرف شاردة اللب موزعة الاعساس ، تصفي لوصف
الفاجعة الفادحة التي أمت بجيرانها في القرية التي تبعد مسافة فرسخين
عن قريتها ، فقوضت بنيانهم ، وهتكت أستارهم ، وازدرعت الموت
والفناء بين ظهرانيهم . . وتنصت لتفاصيل الهجوم الفادر الغاشم الذي
شنه متوحشو صهيون على القرية الآمنة ، وعلى اصحابها المسلمين . .
أطرق محدثي برأسه ، وهو يمسح عبرة همت ، ويكتم زفرة

تفجرت. ثم استتلى يقول وهو يكاد يتميز من الفيض:
ما تبليج فجر ذلك اليوم الكالح الجهم حتى دوى الرصاص،
واندلت النيران، وحجبت القرية عن العيان غمامة قامة من
الدخان، وصعدت الى عنان السماء السنة حمراء، يتطاير من ثناياها
شرر متوهج، سرعان ما كانت وقده تنطفئ، وجمرته تمحمد
وبريقه يخبو

وقتل عصابات صهيون في ذلك اليوم جميع من عثرت عليهم في
القرية، فلم تبقى على شيخ طاعن ولا امرأة واهنة ولا طفل
لاغب.. ولم تنج المنازل من الويل الشامل، بل أكلتها النيران
وأحالتها الى حطام وأنقاض..

وكانت فاطمة آنذاك تستمع لوصف الحادث مشدوهة مبهوتة
فاغرة الفم. كانت في غلواء الشباب ونضارة العمر. وكانت قوية
الهود، وضاعة الوجه، غضة الاهاب، نافرة الصدر، تربطها بالثرية
المرزوءة المنكوبة أوامر صداقة مكينة وثيمة، ويشجعها بجميع
اسرها، وخاصة بعلياء عشيرة الطفولة والصبا وشائج المحبة والاخلاص.
وكانت متعلقة بحليم وليد علياء الوحيد، تحنو عليه وتراومه، كأنها
أمه وكأنه قطعة منها.. وطفقت اثناء إنصاتها لرواة الانباء، تتخيل
الطفل وهو ينفر من قاتليه مذعوراً وجلاً، ويلوذ بجسد أمه المشغن
الطريح.. ثم تتخيله وهو فاقد الحياة جامد الحركة، فيتفطر قلبها
أسى، ويتمزق فؤادها لوعة..

وما اغض لها جفن في تلك الليلة، وما وقأ لها دمع. ولبثت
تتقلب على فراشها حتى وافت الساعة على الثالثة. وكانت الذكريات

في غضون ذلك تلم بها وتدور في خلدتها . فتذكرت الطفل رضيعاً ،
وتذكرته وهو يزحف على ركبتيه ، وحينما شرع يهدج هديجاً
الشيوع ، ثم عندما طفق يلاعبها ويداعبها ويهرب منها فيختفي ، ولا
يلبث ان يظهر بغتة وهو يقرقر جذلاً طروباً .. ورأته الآن ساجداً
في بركة من الدماء .. فقفزت من فراشها كالخبولة ، واندفعت تعدو
بأقصى سرعتها . وكانت عتمة الليل لا تزال مرخية السجوف
ملقياً الجران

ومضت ساعتان وهي تنحدر في يفاعٍ وعر المسالك . وما عتمت
ان واجهتها من الجانب الآخر هضبة مرتفعة رقيتها وهي اشد ما
يكون تعباً وإعياء . ولما انتصبت على قممها وارسلت طرفها يروود
ما يترامى امامها ، شاعت نظرات الحسرة والكآبة في عينيها ،
وانبجست من مقلتيها دموعه حري . ولكنها تمالكت نفسها وانعطفت
الى الجهة الشمالية ، وهبطت في أخدود لولبي ضيق يفضي الى القرية
ولم تصادف ما ينم عن وجود نسمة واحدة من الحياة . فكل
شيء هاديء ، والحقول مقفرة موحشة ، والأنقاض سوداء فاحمة ،
وأسراب الطير تكتسح القرية . ومع ذلك ، وبالرغم مما رأته
وصادفته من نذر الفناء ، فقد كذبت ناظرها وخيل اليها انها في
أضغاث ، وان هذه المشاهد ما هي إلا أحلام اليقظة يلمسها عليها الوهم
والخيال ..

وما برحت تتقدم حتى حاذت أول بيت من بيوت القرية ،
وكانت آثار النار بادية بجلاء ووضوح على الابواب والنوافذ
والجدران . وتوغلت في تقدمها وطفقت نجوس خلال الدور ، أو

خلال ما تبقى من الدور التي عمرت منذ ساعات بأهلها وأنعامها ،
فوجف قلبها واقشعر جسدها وغامت عيناها ، وودت لو كان في
طوقها ان تصرخ وتستغيث ، حتى يتجمع حولها اهل الارض قاطبة
ليشهدوا بأب أعينهم قسوة الأم الخلق .. وجبن أسفل الخلق ..
وبطش أشر الخلق ..

وصرت على أسنانها وهي تستمطر لعنات السماء على صهيون
وبني صهيون ، وسارت متجهة الى منزل صديقتها علياء
وهبت عليها في تلك اللحظة التي مجت فيها الحياة وكل من فيها،
نسمة مفعمة برائحة النار والدم . فامتلاً صدرها برائحة الموت هذه ،
واصابها الدوار ، وتراقصت المرثيات تلقاء ناظرها ، وترنحت
وهوت على الارض فاقدة الوعي

ولم تدرك من الوقت مرّ عليها وهي في غيبوبتها . إلا انها
عندما تحاملت على نفسها ونهضت واقفة على قدميها ، أيقنت أن النهار
ولّى وان الغسق ضرج الافق النائي بلونه الاحمر القاني . وعلقت تجيل
طرفها فيما حولها ، فشاهدت لأول مرة تلك الاشلاء المبعثرة
والهامات المشدوخة والاجساد الممزقة !

واطلقت ساقها للريح ، حتى إذا ما دنت من بيت رفيقتها ،
عجبت لبقائه سالماً دون سائر البيوت ، ولكنها أيقنت ان كل شيء
قد انتهى بالنسبة لقاطنيه ، فهي لا تسمع حساً يحى فيها ميت الأمل ،
وهي لا تبصر شيئاً يبعث في صدرها قبساً من رجاء . لقد انتهى
الامر .. ووسم طابع الموت كل شيء عيسمه البغيض .. واعلنت
الوحشية المتجسمة عن نفسها بهذه الحطام والاطلال والاجسام ..

ودافقت الى الغرف فألفت محتوياتها محطمة مبعثرة . واقتربت
من الحجرة التي كانت تجتمع فيها مجلِّم ، فلم تقو على الدخول ، بل
استندت الى الحائط وهي خائفة النفس واجفة القلب
باجظة العينين

وغشيت الحجرة الضيقة بعد لأي وهي تتنفس الصعداء من
الضيق والاعياء . . . وجمدت في مكانها ، فقد شعرت بحركة خافتة
خلفها . واستدارت ببطء وخشية ، فاهت الباب يتحرك . فتقلصت
عضلاتها وجمد الدم في عروقها . وتطلعت إليها في تلك الأثناء من
وراء الباب عيمان سوداوان متضرعتان ، ولم يلبث الطفل الملتاع
المرتاع ان فزع إليها ودفن وجهه في حضنها ، واستخرط في البكاء .
وهمت فاطمة وهي تضمه إليها برفق وحنان : « لا تبك يا حلِّم ،
لا تبك ، فأنا هنا أحملك وابعد عنك السوء . . . »

وقبل ان يغيب الليل ويشتد الظلام ، اخبرها الطفل وهو يورعد ،
كيف اختبأ وراء الباب عندما دهم امه اثنان من الصهيونيين ،
فاعتديا عليها اعتداء منكرأ ! ثم أفرغا في رأسها الرصاص ومثلا
بجسدها تمثيلاً بشعأ ! ولم يعتان سرقا ماخف حمله وغلائمه ، واوقدا
النار قبل ان يغادرا الدار . بيد ان النار أبت ان تشب لحسن
حظه ، فخمدت من تلقاء نفسها وسلمت الدار ونجا الغلام !

وهجع الاثنان في تلك الليلة وسط الموت والفناء . . . ناما
والهلاك المنتشر بحوم حولهما ونجيم عليها بجناحيه الثقيلين المريعين ،
كما نجيم على الجثث الممزقة والسكون الحزين المتشع بعباءة
سوداء متضرجة . . .

وما ان تبليج الفجر ورنقت ذكاء وتسربت الى مخدع الهاجعين
خيوطها الذهبية الدافئة ، حتى هبت فاطمة من رقادها ، فاطعمت
الطفل قسماً من زادها وتبلغت هي بالباقي . ثم جعل الاثنان ينتظران
قفول من تجنّبهم الموت وأغضى عنهم القوت ..

وتصرم من النهار ساعات لم تر فاطمة خلالها شبح انسان .
فطارت نفسها شعاعاً واستحوذ عليها القلق والاضطراب - فماذا
هي صانعة؟ هل تستطيع العودة بالطفل؟ هل يقوى الطفل على تحمل
مشاق السير في مسالك الجبال الوعرة الوعشاء؟ واستبد بها الخوف
وألح عليها الوجل ، وتساءلت عن رجال الامن .. وعن الشرطة
والجيش .. وكيف يتوك الجبناء وشأنهم يعيشون في الارض
وينكلون بالخلق؟!

ولاح لها من بعيد شبح يقترب . وبدا وراءه شبح آخر .. ثم
آخر .. فاغرورقت عيناها بدموع الشكر ، وسبحت الله وشكرته
وأثنت عليه

واقترب الواقدون من القرية المحترقة ، فهرعت فاطمة والطفل
لملاقاتهم . وكانوا عشرة رجال .. كانوا عشرة غادروا القرية منذ أيام
وقلوبهم عامرة بالسعادة والامل ، ورجعوا الآن ، رجعوا وهم أبعد
ما يكون عن السعادة والامل .. رجعوا ليواروا احبابهم الثرى ..
رجعوا ايلقوا نظرة اخيرة على من محضوهم الحب وضوا لهم في
شغافهم أسمى آيات الوفاء والولاء ..

وصرخ الطفل : « أبناه .. » وهتف جاسر وهو يشرق بدمعه :
« إبناه .. » وضحك الرجل وبكى .. وتطلع الى فاطمة فأطرقت

برأسها وأغضت من طرفها . ففهم كل شيء . . وظللت عينيه مسجوبة
حزن مكفهرة ، وشعر بالحزن والاسى ، وأوشك على الانهيار ،
بيد أنه تجدد وأشار على مرافقيه فشرعوا يجمعون الجثث ويلحدونها
بطن الثرى ، دون ان ينبس أحدهم ببنت شفة ، وكأنهم آلات
تعمل وتتحرك ولا تسمع ولا تبصر ولا تشهر ولا تحس . . وكان
هذه الجثث غريبة عنهم ، وكأنهم لم يألفوها أو يحبوها أو يعيشوا
معها تحت سقف واحد . . !

وبات الجميع في بيت جاسر ، فلم تهجع لأحدهم عين ، ولم
يكتحل بالكرى جفن . . فالكل في شغل بأفكاره الملهمة ، يقارن
بين أمسه ويومه ، وبين بياض ماضيه وسواد حاضره ، وبين وافر
خيره ونضوب حظه ، وبين اشراق سعده وزوال خفضه . . .



ما راعهم في اليوم التالي إلا دوي الأعبرة النارية وانصباب
الحم عليهم من كل جانب . فهبوا يحصنون النوافذ والابواب
ويكدسون وراءها الامتعة والاثاث . فقد صبحهم العدو للمرة
الثانية لينكل بمن آب منهم ومن قفل

وتأهب الرجال العشرة لرد العدوان ، وقد وطدوا العزم على
الاستماتة في الدفاع . وما هي الا ساعة حتى بدأ الهجوم ، وجعل
المغيرون يحملون على الدار من كافة الجهات . واستمر القتال وحمي
وطيس المعركة وأخذت شرادم صغيرة من المهاجمين تكرر على الدار
لاقتحامها ، الا أنها كانت ترد على أعقابها فاشلة خاسرة مخالفة وراءها
من أصيب او جندل من افرادها
وتعاقبت الساعات وثيدة وانبة ، غير ان مجيء الليل بهتمته

قضى على عنفوان المعركة ، فهدأت الضجة وسكن الدوي
واخذ الطرفان للراحة والاستجمام

واستؤنف القتال من جديد مع طلوع النهار ، وأيقن جاسر
ورفاقه بأنهم لن يهتموا ان يقفوا تحت رحمة اعدائهم.. ولكنهم لم
يبنوا أو يضعفوا ، واستمروا يكافحون وينافحون بعزيمة لا تخور
وهمة لا تفتر ...

وتذكر جابر برمبلاً كان قد ملأه بالرصاص وأنفاه في بناء
البلدية القريب احتساباً للطوارئ . وكان المكان الذي أخفى فيه
البرميل لا يزال قائماً . فكيف السبيل اليه؟ وأتى لطالبه ان ينبجو
من الرصاص المنهمر كالمطر من جميع الجهات ؟

وفكرت فاطمة فيما ناجى به جاسر نفسه اثناء قيامها بحشو
بنادق المقاتلين وضمد جراحهم ومناولتهم جرعات من الماء .
واستوعبت ما افضى به لأحد الرجال ، فأيقنت انه لن يدع احداً
دونه يتجشم مثل هذه المجازفة الرهيبة

وجعلت تنظر إليه وهو يصلي الاعداء بناره الحامية الصائبة .
وتناهى إليها صوته وهو يبث في قلوب رجاله روح الشجاعة والثقة ،
قأيقنت أنه الدعامة التي يستند عليها هذا الدفاع ، وانه متى انهار ،
انهار معه الجميع

وتذكرت افعاله واعماله ، وتذكرت عجزفته ، ولكنها رأت
الآن انها كانت عجرفة مفتعلة أو ستاراً يخفي وراءه قلباً كبيراً
واحساساً نبيلاً وشهامة وجراحة قل نظيرهما ...

ولاحت منها التفاتة إلى وعاء الذخيرة ، فمثلت في ذهنها خيالات

الشر ، وأفلتت من بين شفتيها آهة حبيسة عبرت عما يجيش في صدرها من ألم وخوف - انها السبب .. انها السبب في هذه الجزرة الوشيككة .. فلولاها لما رجعت اكثر هؤلاء الرجال .. ولولاها لما قفل العدو راجعاً ليضيف الى قتلى امس الاول عدداً آخر !

وقاض الحزن في قلبها وسوات لها نفسها أمراً . وانطلقت في استخفاء الى الباب الخارجي فأزالت الاثاث المتراكم وراءه ، ثم انسلت الى الخارج دون ان يشعر بها أحد

وجعلت تزحف على ركبتيها صوب دار البلدية ، وهي تنتظر ان تنصب عليها اللحم فتخمد انفاسها . ولكنها وصلت أخيراً من غير ان يفتن اليها الاعداء فدأبت داخلة ، وما هي الا لحظة حتى كان يرميل الرصاص بين ذراعيها ..

في تلك الفينة فقط أدركت سبب نجاتها ونجاحها في الوصول .. فقد وقع طرفها المذعور على وجه جهم ككريه ، وعينين بواقيتين متوحشتين تقدحان شرراً وتحذفانها بسخرية لاذعة متهمكة .. فعلمت والكمند مجزاً في نفسها ان صاحب هذا الوجه اقتفى اثرها من حيث لا تدري ليقف على سرها ، وأنه سيوقع بها الآن لا محالة .. وفي مثل لمح البصر استدارت على عقبها وهرواوت راكمضة تبغي الفرار بكثرة . ولكنه كان اسرع منها في الوصول الى الباب ، فحال بينها وبين الخروج ، ولم يلبث ان رمى بندقيته جانباً حتى يظهرها على مقدار احتقاره واستخفافه ، وانتضى مديدة بواقسة طويلة النصل ..

وطرأت عليها فكرة ، وألم برأسها خاطر ، فتقهقرت من حيث

اتت ، ثم أرخت البرميل الثقيل من يديها وتناولت عن الارض
هراوة ضخمة ، واغارت بها عليه . فانفلت الذئب اليهودي بمهارة
وزاغ زوجة بارعة ، الا ان الهراوة اصابته يده فارقت المدية من
قبضته . فان من الالم ، ثم لم يبسط ان انتقض عليها فأمسكها
بضفائرها وشرع يجرها ويجذبها الى المكان الذي وقعت فيه المدية
وقاومته المسكينة بكل ما أوتيت من عزم وقوة . ولكن
أسنى لها أن تعيقه عن غايته وهو طويل كاللارد ضخمة كالوحش ؟ !
وانحنى قليلاً ومد يده الطليقة ليتناول بها المدية اللامعة ..
ورأت فاطمة اصابعه تدنو شيئاً فشيئاً من السلاح ، فأيقنت ان
حياتها اصبحت تعد بالثواني ..

ولمحت بغتة في خنصره خاتماً تعرفه ، فبحظت عينهاها وغلى
مرجل غيظها ، وتأجم غضبها - فالحاتم لعلياء .. وقد طالما اعتزت
به وحافظت عليه لأنه تقدمه من زوجها جاسر .. فهذا الرجل ولا
غرو هو قاتلها .. وهو ولا جرم الجبان الفسل الذي يعتدي على
النساء والاطفال ، ولا يتورع عن اقتراف أدنى الاعمال وابشع
الجرائم ..

وقيزت من الغيظ ، واجتاحت مشاعرها موجة عاتية من الحقد
والمقت لهذا الانسان القدر ولأبناء جلده ، ولم تلبث أن تخلصت
من قبضته وهي تزجر ، واختطفت الهراوة الضخمة فكرت بها على
الوغد .. وما اسرع ما كان رأسه نثراً من لحم وعظم ودم .. وما
اسرع ما كان دماغه فتاتاً ملتصقاً بالارض ..

ولم تضع الوقت سدى ، بل حملت البرميل وخرجت به تعدو .

واحست بالرصاص يلطع حولها، وشعرت به يمر قريباً من اذنيها..
بيدائها ما حفلت فذائف الحمام تسعى اليها من كل ناحية ، بل استمرت
تجري بحملها الثمين حتى وصلت آمنة سالمة الى المناضلين المستبسلين
واندحر الجبناء بعد ساعة ، فولوا الأدبار .. ووفد على القرية
الهالكة من وفد من الاهل والحلان ، وجاءت ام فاطمة وجاء ابوها
ولما حان ميعاد الرحيل وتأهبت فاطمة لتذهب ، وقفت
مطرقة في رهط من ذويها تودع اهل القرية الراجعين وهي محتضنة
حليها ولا تكاد تطيق فراقه

واقبل عليها جاسر مودعاً ، فشده على يدها وواح يمدق في
عينيها ، ثم قال بلهجة تشف عن طبيسته وصرachte :

« مع السلامة يا فاطمة .. مع السلامة .. لن ننسى قط بطولتك
الحارقة .. لن ننسى قلبك الكبير الذي لقننا درسا عظيماً في التضحية
والفداء .. انظري يا فاطمة الى حلیم .. انه يذرف الدمع الساخن ..
فهو الآن بلا ام .. يتيم كبير القلب .. فما رأيك ؟ ما رأيك ؟
هل تصبحين له امماً ؟ ! »

وحدقت فيه وهو يعرض عليها الزواج وتأملت أساريره فقرأت
فيها عبارات الضراعة والتوسل .. وتحولت بناظرها الى
الغلام ، فرأته متعلقاً بها متشبهاً بشبابها .. فدهمتها موجة من الحزن
والفرح ومن الألم والسعادة لم تلبث بعدها ان طأطأت هامتها
علامة القبول والموافقة ! !

طبيبة تفقد رشدها



شعرت كأني ملكة الخائفين يوم بعثت بمي . فقد تهت عجباً
ونشيت روحاً طيبة وخيل الي أني أسعد مخلوق على وجه الارض
وكانت مي من اجمل الفتيات واكثرهن ادباً واغزرهن علماً .
ولم يكن لها مثيل بين لدنيا الا تربها الحناء شمس ، فقد نشأت معها
وترعرعتا سوياً ونهلتا العلم في مدرسة واحدة . ومن جامعة واحدة
نالت شمس اجازة الطب وحصلت مي على شهادة العالمية

فكان من الامور الطبيعية ان تلوذ مي بصديقتها الحميمية تلتمس
منها معالجتها كلما انتابها ألم وعرض لها عارض . واتفق في احد
الايام ان اصابتها وعكة خفيفة فهرعت الى صديقتها الطيبة لكي
تدبها شجوها وتشكو لها أعراض علتها . فلما أقبلت راجعة بعد ساعة
من الزمن أفزعني شجوب سخنتها وتغير لونها وشروء بصرها .
فسألتها وانا واجف القلب :

— مالي اراك منقبضة مضطربة يا مي ؟ أخبريني . . هل قالت

شمس ما أدرك برآذاك ؟

فرنت الي بطرف مخضلة ثم طأطأت رأسها وقالت :
- لا لهم ثقل شيئاً البتة ..

فقلت وانا اكاد أقيز من الكرب :

... ولكن مالي اراك حيوي تنكسين طرفك وتطرقين برأسك
شأن من صدعه خطب وفدحته معيبة ، ولا يشاء ان يبوح بما ألم
به ففكر عليه منو حياته ؟

فأجابت وهي تشرق بدمعها :

- انا متعبة قليلاً ، فلا تثقل علي ولا تبهظني بالحاحك .. ثم
أساحت بوجهها ودلفت الي مخدع النوم واغلقت الباب دوني
لم اذق طعم الراحة في تلك الليلة المشؤومة ، فقد جفا النوم
عيني وكحل بالسهاد جفني ، وما فتئت انقلب على الأريكة التي
استلقيت عليها ابتغاء للنوم حتي تصرمت ساعات الليل وتبلج الفجر .
فارتديت ثيابي وخنفت الي مخدع النوم فألقت الحادمة منهمكة
بعملها فلما سألتها عن سيدتها انبأني بأنها غادرت البيت مع اول
خيوط من خيوط الشمس .. فشرخت الي عملي وانا موزع البال
بمزع الفؤاد ، اقدس زناد الفكر فلا اجد علة لهذه القطيعة ولا اعثر
على سبب لتحول زوجتي من حال الي حال ..

وعند عودتي في المساء كانت الدار خالية من مي ، فطارت نفسي
شعاعاً واستجوذ علي الأسي وجلست انتظر رجوعها . فلما قارب
الليل التصافه فتع الباب برفق ، ودخلت منه مي فاتجهت صوب
مخدع النوم دون ان تلتفت الي او تعيرني انتباهاً . وردت عليها

الباب كما فعلت في الليلة السابقة !

وهكذا قضيت ليلة اخرى في غرفة الاستقبال وكانت اسوأ من سابقتها ، فقد طوفت بي الأشباح المرعبة ورأيت الرؤى المفزعة ، وكنت لا أنفك اشاهد هوة سحيقية سريعة تتلوى في جوفها ثعابين هائلة ذات اعين رهيبه متأججة ، كلما التفتت نحو ي انطلقت منها اعمدة من الالهب المضطرم المستعر !

ومضت الايام تتاو بعضها بعضاً وهي سرقة في إيلاسي موعلة في تعذيبي ، تغادر البيت باكراً ولا تؤوب راجعة الا وقد ذهب من الليل اكثره !

ضقت بالامر ذرعاً واختمر في ذهني ان افصل بين الحق والباطل مها تكن النتائج .. فما كادت تغشى البيت في الساعة الثالثة من تلك الليلة حتى تصديت لها وشرعت اخاطبها بصوت مختنق واقول :
... رويدك يامي .. كُفني عن اللعب بالنار لئلا تحرقنا النار ..
وامتنعي عن الحفر تحت البنيان لئلا تنهار سعادة سيدناها سويا ،
ويتقوض مستقبل ائمتنا جرحه معاً .. فكري فيما انت مقدمة عليه ،
فكري قليلاً لتدركي خطأك وتعملي على اصلاح ما افسدت برعونتك
وقلة تبصرك ..

فنظرت الي شزراً بمؤخرة عينها ثم تولت عني وانكفأت الي مخدع النوم وهي تقول :

— اف لك يا اديب ! اتركني ! ابتعد عني !

فانتفض جسمي وارتمش ، وجمدت في مكاني ، وخيل الي اني نائم اختلطت علي الاحلام .. وان هذه السحب القائمة الكثيفة التي

تلبدت في افق حياتي لن تعتم ان تتشع عن سماء صافية في اللحظة التي
أصحو فيها من أضغاث احلامي . ولكنني لست بالنائم ولا بالحالم ،
وهذا الذي ارى واسمع هو الحقيقة التي لا قدحض . أجل انها الحقيقة
المرّة .. انها اليأس بعد الرجاء ، وانها الفشل بعد الفوز ..

وبلغ من قلبي الحزن مبلغاً جعلني اتأوه من كعبد حري
وانطرح على الأريكة واتعب واهذي بكلام غير معقول .. فمن
يعلم ؟ من يعلم ؟ لعلمها عشقت علي واغرمت بسواي ؟ غير اني لا
اصدق ان مي انطاهرة الذيل النبيلة الفؤاد تجرح هذه الخطيئة
الكبرى

وتصرمت ايام اخرى لم ارها خلالها الا لماماً ولم اكلمها الا
غراماً . حتى اذا خرج صدري وغلب صبري لم اجد مندوحة عن
التفكير بالطلاق فهو اجدى علينا وانفع لنا

وصممت ذات ليلة ان أفضي اليها بذات نفسي ، فلما فتع الباب
في الهزيع الاخير من الليل ورأيتها تدخل البيت بخطى ثقيلة وتجر
نفسها جراً ، انشأت سورة غضبي وشعرت بالحزن والرثاء ، واخذت
أتوسل اليها ان تشفق على نفسها فتبادر الى اطلاعي على مكنون
صدرها . فانا زوجها وانا حبيبها . ومن احق مني بمشاركتها في
سراها وضرائها . ولكنها هزت رأسها وقالت بصوت مبحوح متاعثم :
.. ارحمني يا اديب .. اشفق على ضعفي .. فأنا لا احبك .. لا
احبك ابداً .. بل انا ابغضك واستهتك !

احسنت اخبال والوبال واخذت اقلب طرفي في أساريها ، ولم
أنتقم اذا اندفعت الى الخارج وانطلقت اجوب الشوارع المظلمة

وأهيم على وجهي في الاحياء المعتمة وانا كالمجنون.. ابكي واضحك
وازفر واقهقه.. حتى اذا ما ولى الليل وانتشر ضوء الشمس وكأنه
حبال مقبلة من كل صوب ، سعت الى منزل الدكتور فؤاد العالم
النفساني المتخصص فأطلعتة على ما نزل بي من النقم ، ورجوته ان
يزيح عن صدري هذا الضاغوط المريع ، وافهمته بأن املي ورجائي
قد تعلقا به ، فهو مناط هذا الأمل ومعقد هذا الرجاء . فحينما تدبر
الرجل كلامي هداً من روعي وأشار على ان اصنع له مادة علي ان
يجتمع فيها بي . ثم ناولني سفوفاً ابيض اللون لأدوفه
خفية بشراها . .

فاتبعت مشورته وبكرت الى مي في اليوم التالي فرجوتها ان
تلازم البيت لتشرف على اعداد الطعام لضيف عزيز ، كما أظحت
عليها ان تشار كنا طعامنا حتى لا يفطن الضيف لما يشوب علاقتنا
من فتور وجفوة .

فقبلت على مفض وانداعت مكرهه بعد لأني . و...
الاخصائي جلست بيننا على اخوان وقد بان في وجهها التشنيب
و كأنها تتجشم ما لا تطيق . .

وعندما سئمت لي انفرصة دفت شرايها بالسفوف المنوم ، فاعنا
بجرت كأسها اصابها كسل وشرعت تتشاءب ولم تلبث ان استأذنت
ومضت الى فراشها

وسرعان ما اخذتها سنة من النوم . فقمنا اليها زرعلى الطيب
يحدق بجهنيتها المسبلين ويحدد بصره في وجهها الشاحب الذي ضاعف
الذبول من فتنته وسحره . واما تم له ما اراد وأركن الى خضوعها

لأرادته ووقوعها تحت سيطرته ، أهاب بها بصوت حاد قائلاً :
- أضيئي يا سي ، اني آمرك ان تبيني ولا تخفي شيئاً . . ماذا
حدا بك الى مجافاة زوجك وجعلك تقابلينه بالاعراض والصدود ؟
فأجابته وهي تتامل :

- لأنني لن احيا طويلاً ، فالموت يتربص بي الدوائر وهو قابا
قوس او أدنى مني !

فقاطمها وهو يبادلني نظرات الدهش والاستغراب :
- وكيف عرفت انك سوف تلاقين حتمك عاجلاً ؟
قالت :

- عرفت ذلك من الدكتور شمس فأنها لم تخف عني ما يحدق
بي ويهدد حياتي . فقد اكدت لي بأن قلبي وان واني لن اعمر طويلاً .
ولما اعربت لها عن رثائي لزوجي ونخوفي عليه من ان يلغبه الحزن
ويعييه أشد الاعياء ، اسدت الي النصيح وأخبرتني بانه يخلق بي ان
أهجره كي ينصرف عني ويسلاني ، فلا يشتد حزنه علي ان
حمّ الأجل !

فقال الدكتور :

- اتحبين زوجك يا سي ام انك مشغولة عنه بسواه ؟
قالت :

- انني أحضه اصدق الحب وأكنّ له في صدري اسمي آيات
الإخلاص . وان إقدامي على هذه التضحية هو الدليل القاطع على
حبي وإخلاصي

فالتفت الي الدكتور مزهواً بانتصاره وقال وهو يربت على

ظهري :

— ستقياً لزوجك يا صديقي ، وهنيئاً لك بهذه المرأة النادرة
المثال .. وثق بأنها متمتعة بالصحة التامة .. بيد ان هذه الطيبة
الشريرة قد خدعتها بمعالها حاجة في نفسها .. ولقد كادت تفوز بأربها
لولا رعاية الله وعنايته

والا افافت مي من رقادها وعلمت ما يجري لها ، وانخبرها
الدكتور الماهر ان قلبها سليم وانها ابعد ما تكون عن الوصب ،
ارتقت على صدري وشرعت تقبلني وتقول :

— أحقاً ما يقول صديقك يا أديب ؟

فأجبتها وانا اكاد اطير من الفرح :

— أجل .. أجل .. سوف تعيشين ايتمها الطيبة .. سوف
تعيشين .. ولن يقضي نحبه سوى شمس المجرمة الاثيمة ..
قالت :

— وهل صفحت عني ؟ هل غفرت لي ذنبي ؟

فأجبتها :

— وكيف لا اصفح عنك يا ملاكي ؟ كيف لا اغفر لك يا من
بدلت نفسها في سبيلي ؟

وخادرتنا الدكتور فؤاد وانطلقت انا الى بيت شمس . فلما وقع
بصرها علي ورأت عبوسي واكفهرار وجهي ، نكست الى الوداء
وهي ترتجف كريشة في مهب الريح . وما لبثت ان تمالككت على
مقعد قريب منها ، وقالت وهي تتلجلج :

— لا تنتقم مني يا اديب ولا تغلظ في معاصماتي .. بل ارحمني

وارث لي .. اوث لامرأة شق شغاف قلبها الحب .. لقد قدر الله
علي ان احبك حباً جماً ، وان اهواك كما لم تهوى امرأة رجلاً قبلاً ..
لقد طفى هواك علي قلبي وحسي فانتظرت تلك الساعة السعيدة التي
تلتبس فيها الزواج مني - كنت احلم بهذه الساعة ، و كنت ابني
القصور واشيدها عالية شاهقة شاهقة - بيد أنك لم تنقع غلتي ولم
تجب نداء قلبي بل انصرفت بكائيتك الي مي فخصصتها دوني بودك
وحبك ، وتزوجت منها ، فتلاشي الأمل وانهارت القصور وتبددت
الاحلام . ولا اکتک اني حزنت كثيراً وحقدت علي مي
كثيراً .. فلما جاءت الي عيادتي عادني اليك شوق قتال ، فذسيت
واجبي كطبيبة وكصديقة ، ولم اعد اذكر إلا اني امرأة عاشقة .
فأطعت الهوى غافلة عن الشرف ونخدعت مي و كذبت عليها
وادخلت في روعها انها مريضة مدنفة .. حتى اذا أساءها الوهم والهم
الي العطب فزت بضالتي وظفرت بالرجل الذي تيمني
صمتت شمس ونكست طرفها ولم تلبث ان تأوهمت تأوّه الحزين
واردفت تقول :

- انني قسوت في معاملتي لها ولم اشعر بشيء من الشفقة ..
فقد جمد الحب قلبي فصيرني خشنة عاتية شديدة الوطأة علي غريمتي
ومزاجتي التي انتصرت علي ..
سوف أرحل عن هذه المدينة يا اديب ولن ترى بعهد اليوم
وجهي فاكفف عن ايدائي ولا تلحنني وتسلقني بكلامك . . ولا
تأخذني بالبأساء والضراء .. واصفح عني واعف عن هفوتي فقد
ذقت وبال جورري واجتمع علي الهوان والشقاء ونكد العيش ! !

البحر

•

- ما وراءك يا بحر ؟
وماذا تضم في احشائك ؟
وكم جريمة ارتكبت ؟
وكم جريمة اقترفت ؟
وماذا دعوك بالبحر واليم واللجة والحضم ؟
ولماذا وصفوك بالهدار والمزبد والصاخب والمهربد ؟
ولماذا اكرهك يا بحر ؟
لماذا امقتك وامشأك ؟
لماذا اتنى على الله ان يتضب امواهلك ؟
لأنني .. لأنني اطلب الثؤرة يا بحر
لأنني مظلومة انشد الانتقام
وكيف انتقم منك ايها الجبار الا بالدعاء عليك ؟
وكيف اقهرك الا بالابتهال الى الله ان يجففك



عامان مضيا و كأنهما دهران ...
عامان من العناء والشقاء والبكاء ..
منذ عامين كنت اسبح في خضمك كالحورية ..
فأداعبك وتداعبني .. واجالدك وتجدلني .. واتحداك
وتتحداني .. واخرج اخيراً الى اليابسة ظافرة منتصرة .. فانت
رغم قوتك وجبروتك وطفياذك ، اضعف من ان تخيفني ، مع انك
تخيفني .. انت اضعف من ان تضميني اليك لتبتلعني مع انك
تعبدني وتهواني ..

و كنت تتوقب الفرص فلا تسنح لك منها فرصة ..
و كنت بعد ان افلتت من مخالبتك الناعمة تهيج فجأة وتشور
كالمجنون ، وتزأر وتهلر ككلاب تائر مسعور ...
منذ عامين كنت اسخر منك وافر من سطوتك ..
و كنت اغوص منذ عامين في لجتك ثم اطفو على صفحتك وافلت
من قبضتك ..

ولا البث ان اقف عن كذب منك - على الشاطئ الرملي
الأمين - اضحك لك و اضحك عليك ... فتئن وتتأوه و كأنك
تستغيث بي وتتضرع الي ... وتتغير حالتك على حين غرة من اللين
الى الشدة ومن الاستخذاء الى التحدي .. فتصرخ وتزجر متوعداً ،
وترسل موجاتك المتلاحقة فتسعى الي جاهدة تدفع الموجة منها

الموجة ، فلا تنسأل مني الا قدمي .. ولا تعتم ان ترجع من حيث
قدمت ، خاسرة فاشلة ، تعلن عن خيبتها وانكسارها ، فتطويها يا
بحر غاضباً حانقاً ، وتبطن لي العداة ، وتسره حسواً في ارتفاع ، وان
كنت لا تنفك تحبني وتشتهيني ...

وتمكنت مني اخيراً فأوسعتني ضمماً وتقبيلاً .. الا انني قاومت
وابتث اقاوم .. وناضلت وما زلت اناضل .. حتى كالت قوتي وخارت
عزيمتي ووهن جاري .. واصابني الدوار الشديد فاستسلمت ..

وفتحت عيني المسبلتين فألفيتني في المستشفى .. ورأيت حوالي
امي واخي وغيرهما من لداتي وصوحيباتي
وجلت بطرفي ورحمت اتصفح الوجوه فلم يقع نظري على اعز
شخص واحب وجه ..

فوجف قلبي وارتعدت فرائصي واصابتني القشعريرة . وداخل
حسي الملمام النازلة ، وأنبأني بحدي بوقوع الكارثة ، وتساءلت : « اين
هو ؟ وذاذا لم يحضر ؟ لقد كان معي على الشاطئ ، وكان يطلب مني
ان لا اذهب بعيداً في البحر ، فكنت اهرب منه وابتعد ، وكان
يلحق بي ويقسرنى على الرجوع »

وغافلته في دقيقة شغل فيها عني فألقيت بنفسي في الخضم
واخذت اسبح وقد تهت بعنفواني وزهوت بمهاتي ، فرحت انخبط
اللجة بيدي الصغيرتين ، واعارك الموج بقدمي الدقيقتين ، واغوص
واطفو ، واكر وافر ، الى ان شعرت فجأة بتيار يهاجمني بعنف
وقوة ، فقاومته فلم يجد عني بل احاط بي من كل جهة احاطة السوار
بانعصم ، واخذ يلتف حوالي ويضيق على الخناق . فلم استسلم ولم

اقنط بل ما فتئت اقاومه واحاربه حتى انهارت عزمي وتلاشت
صلابتي وشعرت باسترخاء شديد في اعصابي ، فجهلت اصرخ واستغيت
حتى بح صوتي واخذت اغوص في اليم
ولا اذكر ماذا حدث بعد ذلك ، فقد فقدت وعي وغبت
عن صوابي

وتساءلت فأنخبرت ان الحرف علي من الهلاك اثر عليه وعظم
اعصابه فاضطر الى ملازمة فراشه . . .
فشككت فيما زعموه لي وطفقت ألحف في السؤال عنه ، فلم
يتبدل جوابهم بل اقسوا على صحة مقالهم . .
فتأوهت وخرقت الدمع ورجوتهم ان يطلبوا منه تسطير كلمة
صغيرة بخط يده حتى يفرخ روعي ويزول فزعي . . فزعموا بأنه لا
يتسنى له ان يكتب شيئاً لأنه يعاني الآلام المبرحة ، ويهذي هذيان
المرضى المشفي . .

وهكذا مرت الايام متعثرة و كنت اباؤها موزعة البال ثائرة
النفس قلقة لا اجد للهدوء الذي احن اليه سبيلا
ولما غادرت المستشفى بعد عشرة ايام والفيت نفسي وحيدة مع
امي ، ناشدتها الله ان تطلعني على ما خفي عني طيلة هذه الايام
فضممتني امي الى صدرها وهي تزفر وتندحب ، ثم قادتني من
يدي فأجلستني على مقعد وثير وجلست بجاني ، واحاطتني بذراعها
وشرعت تخاطبني بصوت يقطعه الزفير ويجبسه الشهيق ، فتخرج من

فيها الكلمات كلمة .. كلمة .. وكان كل حرف مطرقة تهوي على
أم رأسي ..

قالت :

— أي بنيتي .. تشجعي .. واعتصمي بحبل الله .. صابري
واصبري .. فانت وحيدتي وقرّة عيني .. انت ابنتي التي أفديها
بالروح والجسد .. ان القدر العشوم حكم علينا حكمه الجائر ، ولا
مناص لنا من الرضوخ لأحكام القدر فنحن اضعف من ان نتحداه ..
نحن ضعاف يا بنيتي .. نحن بني البشر .. فاصمدي .. اصمدي يا
حبيبتي .. ولا تسترسلني في حزنك .. لا تسترسلني في شجرك .. فتقتلي
نفسك وتقضي على امك ..

و كنت أستمع لها وانا مذهولة مشدوهة شاردة اللب مشلولة
الفكر . كنت كمن توقف ذهنه عن الحركة . كنت في مقام
مجازبة بين الجنون واليأس وكلا العارضين وبيل ، وكلا الآفتين
مهلكة مرديّة .. و كنت انظر اليها وهي تتكلم فاخال ان
صوتها المشرب حزناً واسبى منبتق من هوة عميقة لا قرار لها ..
كنت إخال صوتها الحنون هذا كأنه آلاف من الاصوات الهادرة
المدوية الصادرة من كافة الجهات ، وكلها تنطق بحكم الموت علي
وعلى قلبي وعاطفتي

ورمقتها وهي تفضي بالقرار الرهيب بنظرة الغضب والقلبي ..
وودت في تلك الدقيقة لو تبرأت منها ومن امومتها .. فهي عدوتي
ولا مرأ .. عدوتي .. عدوتي .. عدوتي .. هي عدوتي لأنها
طفقت تدك صرح مستقبلي حجراً فحجراً بمطرفة كلماتها المائلة المربعة ..

فما كادت تم حديثها حتى صرخت بصوت مجنون .. اهتزت له
جنيات البيت :

-- ويحك يا امرأة ! ويحك ! انت تكذبين ! قولي انك
تكذبين ! قولي انك تافكين ! ثم هرولت الى غرفتي فأغلقت الباب
علي وانخذت اصرخ صراخ الشكلى واعول عويل المفؤود ، حتى
تقرحت جفوني واخنتق صوتي وتراخى جسدي

لقد قضى حبيبي وهو يجاهد لأتقاضي .. لقد اتقذني نخصيبي ..
ومات .. لقد فداني بروحه فأثبت للملأ ان روحه العزيزة السامية
خليقة بالتقدير والتعجيد

وقصدت في اصيل ذلك اليوم الى مدينة المراتي فقضيت بجواره
ساعتين في نجوى مؤثرة .. وبللت جدته المتواضع بقطر من دموعي
الحارة .. وخاطبته بنفس الكلمات التي كنت اخاطبها .. فأجابني
على كل كلمة .. واجابني على كل سؤال .. فارتاحت نفسي ،
وملأت الغبطة قلبي - فهو حي يرزق .. هو حي يلازمي ظله
ويواكبني شبعه ، ولا يفتأ يحدثنني حديث الحب والغرام ولا
يبرح يبثني ما يختلج في سويدائه من الوجد والهيام ..

فهو حي .. اجل هو حي .. لهذا تراني اشعر بالسعادة والراحة
والسكون كلما زرته وخالوت به ..



حولان انقضيا وانا مشابرة على زيارته كل يوم ..
عامان مرا وانا مواظبة على وصله لا أكل ولا أمل .. بل لا

اطبق شيئاً آخر سواه .. فيفرح كلما سمع صوتي ويبادلني قبلاتي
كلما ضمته الى قلبي - كلما ضممت ثرا رسمه الى صدري - فيزول

همني ويمحي سهدي .. فهو موجود .. هو حي ..

هو حي .. هو حي .. وسأبقى على وفائي له .. سأقيم على حبه
حتى يمتع العمر ويحين الحين وتأزف الساعة التي أنعتق فيها من
ربق الحياة .. فألقاه واجتمع به .. وتلك هي فرحتي الكبرى ،
فرحتي الكبرى ، يوم أزف اليه فنرتع ونفرح في المكث الأمين
الحالي من البحر القاسي الأمين !!

حائرة

•

لا بأس بها . .

فتاة في الرابعة والعشرين . .

في عينيها جمال . .

وفي محياها وسامة . .

وفي ملامحها قسامة . .

ممتلئة الجسم قليلاً . .

لا هي بالقصيرة ولا هي بالطويلة . .

تستحسنها أنا وتستقبحها آناً . .

تظهر الخفر . . فلا يدري امرؤ اهو الخياء الحق . . ام هو

الرياء الخفض . .

وتتكلم مع هذا وتبتسم لذاك . . وترسل نظراتها المعبرة

بأفصح بيان عن شتى المشاعر ومختلف الخبايا ، الى هذا وذاك . .

كل ذلك في خفر واستحياء . . !

ومع ذلك فهي في حيرة من امرها عظيمة . . هي كريشة في
مهب الريح . . او كسحابة صيف تجمعت ثم تمزقت . . ثم
تجمعت . . وكأنها تلتقط انقاسها الضائعة ، بالتقاط امثلائها الممزقة
شذر مذر في الفضاء الفسيح الشاسع . . .

وعرفتها فيمن عرفت من النساء . . فصادفت من قلبي رضى
وقبولاً ، بالرغم من بعدها عن فتنة العيد الأمليد

وسميت اليها كما يسعى الصادي الى جب فيه ماء

وتقربت منها كما يتقرب المشرف على الغرق من زورق النجاة . . .

فقد كنت في ذلك الحين ابن ثلاثين . . و كنت قد شبعت من

الدنيا ، وشبعت الدنيا مني ، ولم يبق علي الا ان أثوب الى رشدي

فأسكن الى بيت وزوج . . وان اصدف عما اخذت به النفس طيلة

ايام الشباب من العبث واللهو والمجون . . .

واتجهت بكليتي نحوها ، وكأنها هي الأخرى كانت تتنازعها

نفس الخلدات والاحاسيس . . . فاتجهت صوبي ، يحدوها الى ذلك

ما يحدوني - شيء . . . او سر . . . او اختلاف الجنس . . .

لا ادري ! !

وتلاقى القلبان والماطفتان في صعيد واحد . . وانصهرت

الروحان في بوتقة الاتحاد ، وسارت بها دفعة الحياة في رعاية الله

وحمايته . . .

قات لها وانا اقبض على يدها وغم انفها - لانها كانت تجفل

وترتاع كلما مست يدي يدها عمداً او عن غير قصد - « هلم نخرج

سورياً فنرود داراً لاسدينا او نقصد ناد آهلاً من اندية المدينة ، فنتبادل

الحديث ، فلما كلام شأن كبير في تسمية شجرة المحبة التي تبذرها يد
الدهر في قلبين متآلفين . . . »

فازورت عني مجفلة وقالت وهي تلهث : « انني لا افعل مثل
هذا الأمر ، ففتش لك عن فتاة سواي ترضخ لك ولنزواتك . . . »
— ولكنك رافقت غيري من الشباب يا نوال . . . رافقت زيدا
ورافقت عمراً . . . ولا تزالين حتى اليوم تجتمعين بالرجال . . . وليس
في هذا الأمر ما يعيب الفتاة الحصان . . .

— أف لك من غيور ! وويحك من أناني يستولي عليه الطموح
ويأسر ليه هوى النفس !
— وما شأن الغرور فيما نحن فيه ؟ ما شأن الأنانية والطموح
حتى تصميني بهما ؟

وافترقنا على خصام . . . ولكنني سويت الأمر في اليوم التالي ،
وعرجت على منزلها ، فتمرفت على أبيها وأما وشقيقاتها . . .
فأعجبت بالأسرة من حيث هي فروع متماسكة . . . ومن حيث هي
اغصان فنواء يشبع بعضها بالبعض الآخر آصرة واحدة . . .
ولم أملك من ان عرضت عليها فكرة الزواج ، ولكنني رجوتها
أن تروسي في الأمر فلا تتسرع حتى لا تندم يوم لا تنفع الندامة . . .
وحتى لا تندم يوم لا يجدي الندم

فأما سمعت كلامي وعرفت اني صادق الطوية حسن النية قبلت
عرضي جدلة مسرورة فلم يبق علينا الا الاتفاق على الشكليات
والاجراءات التي تليها او تفرضها التقاليد المرعية
ثم اني حينما رافقتها في اليوم التالي ، وقد ارتبط مصيرها بمصيري ،

أو أوشك على الارتباط ، أبدت من الضيق والامتعاض ما شهدني ،
واظهرت من نفاذ الصبر ما ملأ قلبي شكاً وارتياباً . .

ومع ان الشك وقود الفرام ومضرم نيران الهوى كما يقال في
الامثال السائرة او السارية . . الا ان النفس نازعتني في ان أستشف
دخيلتها واتبين حقيقة حالها . .

فعلت انها تظهر أمراً وتبطن سواه . . وانها في الوقت الذي
تعرب فيه عن رضاها وقبولها ، تطمح ببصرها الى رجل سواي . .
الى رجل فسل تافه لا ينتمي الى الرجولة إلا بشكلها وسمتها واسمها
— والمظهر غرار يخدع البصر ولكنه لا يخدع البصيرة — فعاتبتها
وعذلتها . . فأنكرت صلتها به ، ونعت علي غيرتي ، ونعتني
بالفضول والتطفل !

وتغاضيت حينذاك عما لمست من انحرافها قليلاً عن الصدق
والصراحة ، وعزوت ذلك الى قلقها واضطرابها وعدم استقرارها . . .
ولعلي كنت مشفقاً عليها وعلى نفسي من نقض رأبي فيها وفي كمالها
وانوثتها اعتقاداً مني بأن كريم الأرومة لا ينحدر الى الدرك . . .
وأن عريق المحتد لا يعثر ولا يكبو ، كالجواد الأصيل . . .

وهمس في اذني هامس : « لا تقدم قبل ان توقن ! لا تسقط
قبل أن تعثر على الحفايا ! لا يغرنك ما ترى . . بل انظر فيما
لا ترى !! »

وكان لهذه الكلمات الحكيمة فعل السحر في نفسي . . فأنا
مطبوع على التسليم سريعاً بكل ما يقال في النساء . . وديديني — وهو
كالقيد الذي يغل العقل — التقصي عن المرأة قبل الركون اليها

والثقة بها . . !

فأغدقت المال على الهامس ووعده بالمزيد ان قدم الدليل على
خبثها وخداعها . فعاهدني على بذل وسعه وأمهلني بضعة أيام ويثما
يقوم بمساعيه فيقدم الدليل على إفك نائلة ومحالها . .
وسعى الي بعد يومين وناولني رقعة صغيرة ما كدت اطلع على
فجواها حتى دهمني نوع من الدهول المشرب بالاشمئزاز . . فقد جاء
في الورقة بخط نوال :

(عزيزي . . . ان كنت تمواني كما تزعم فحافظ عليّ . .
وان كنت تشتهيني فقم بما يحتمه الواجب عليك . .
انا لك ان شئت . . انا عبدتك ان أردت . . أنبس
بكلمة واحدة او بحرف أمسي خادمتك بل عبدتك . .
واني أبتهل اليك ألا تتركني أعمه في حيرتي . .
وأناشدك الله ان لا تظلل أفق حياتي بسحابة قاعة
من القلق والتبلبل . . !)

فاغتمت نفسي واجتاحني موجة قنوط عارمة من هذه الدنيا
الدنية المفعمة بالمدالسة والموالسة . . وفكرت في مجابتهها بالحقيقة
التي اطلمت عليها ، الا اني عدلت عن هذا الامر ، ثم تجنبتهم
وجفوتهم ، وآليت ان افصم كل علاقة تشجني بها . . .
وعجبت نوال لصدوفي عنها وعزوفي عن زيارتها . . فحاولت
بكافة الوسائل ان تسبر غوري وتكنه سري ، بيد اني لم أبح لها ولا
لمن أوفدته من قبلها بالسبب المنفي الى القطيعة . . .

وتعاقب الماوان وتصرمت السنون والأعوام ، وتقدم بنوال
العمر حتى اشرفت على الثلاثين - وابنة الثلاثين عانس في نظر
الرجال حتى من جاوز منهم العمرين - فانفض عنها من كان يحوم
حولها . . . كما ان حبيبها ذلك الذي ابعده قلبي عن قلبها وفصل
حياتي عن حياتها لم يلبث ان هجرها ساعة خبر موضع الضمف فيها ،
ولس حيرتها التي ما برحت تدم صرح حياتها حجراً إثر حجر حتى
أتت علي البناء بومته !!

لقد قضت نائلة غضارة العمر حائرة . . . ولا تزال تعمه في حيرتها
العظيمة هذه ، فتعدل اليوم عن رأي ارتأته بالأمس وستبقى الى ما
شاء الله تتقل على هذه النار المضطربة المستعرة الأوار حتى تذوي
وتذبل . . . وتصير في النهاية الى العدم - مجهولة . . . مغمورة . . .
مقطوعة النسل . . . مكسورة الخاطر . . .

عدل السماء

⑤

في بهم ليلة داجية اتشحت فيها الدنيا بجلباب حالك السواد ،
خرج رؤوف من بيته الصغير الكائن في ناحية من مصنع النسيج
المترامي الأطراف ، البعيد عن المدن وال عمران ، وفي يده سراج
مصفح بالزجاج ، واتخذ له مجلساً على أريكة خشبية قريبة من البيت
يترقب وصول منير المفتش المالي ، وهو فزع خائف مضطرب لا
يهدأ له قرار ويحسب ألف حساب لهذه الزيارة الفجائية المباغتة التي
أحيط بها علماً على حين غرة منذ ساعات معدودة

وما كادت السيارة التي تقل المفتش منير تقف بجوار البيت حتى
توكل منها رجل نصف مليء الجسم مديد القامة صاروم الملامح ،
فألقى على رؤوف تحية جافة مقتضبة ، وشرع من بعدها يبحث معه
فيما يتعلق بالنقص الكبير في أموال الشركة صاحبة المصنع . وما
لبث أن حدجه بنظرة قاسية تفيض لوماً وتعنيفاً وقال بصوت
مشرّب بالتهديد والوعيد :

... هذا بحث لا طائل تحته لأني واثق بأن شنشنتك كانت
اختلاس هذه الأموال . . . فلا تكابر فتنكر ما أعزوه إليك ، ولا
تغلو في القحة فتهرب من المسؤولية وتتصل من التهمة . . . ولا يفرب
عنك أني أمك البراهين التي لا تدحض ، وانني مزعم أن أفوض
أمرك الى القضاء ليقول فيك كلمته . بيد أني لا اعتبارات يطول بي
شرحها ، أرى أن أمهالك اسبوعاً تتدبر خلاله أمرك ، فإن قدرت
في نهاية هذا الأسبوع على رد المال المسلوب أغضينا عنك وتجاوزنا
عن سيئتك ، على ان تعزل منصبك كمدير المصنع . أما إذا أحجمت
عن ذلك فلا محيد لنا عن إحالتك الى القضاء ليفصل في أمرك
فأجابه رؤوف مستعظفاً متدلاً :

— أروود يا سيدي وافسح لي في الوقت ، وامهلي الدين حتى يتسنى
لي لقاء ولدي . . . أنت تعرف ولدي ، وإخالك لا تجهل أني لم
أمتع طر في برؤيته منذ مبارحته الديار الى المهجر ، وقصاراي الآن
أن أراه قبل أن يغيبني الثرى في أحشائه . . . انه قادم بعد شهرين ،
فبربك أمهلي هذه المدة ولن تطول حياتي بعد ذلك ، فقد أمنت
عليها لقاء ثلاثة آلاف جنيهه ، والموت لمن كان في عمري أمر عادي
دأوف لا يشير الشبهات . . . وهذا المقدار من المال يكفي
للتعويض على الشركة ! فارت لي واشفق على شيخوختي ولا تصر
على ما صممت عليه ، حتى لا تسم اسمي بعيسم الخيانة والعدر ،
فيلحق بابني من جراء ذلك أضرار العار وأقدار الشنار !
— دون طلبك خرق القناد يا هذا ! فلا تامل ولا تراوغ ،
وتأكد بأنني لن أرحمك بعد اليوم ، فدبر المال في غضون سبعة أيام .

ها أنذا منذرك وقد أعذر من أنذر . . دبر المال وانتظرنني في مثل
هذا اليوم من الاسبوع القادم

ولما انتهى من كلامه استدار على عقبه ومضى من حيث أتى
وابتلع الظلام السيارة الصغيرة ، فصار لا يلوح منها سوى
بصوة براقه ضعيفة من نور يتراقص من بعيد ويتضاءل رويداً .
حتى اذا ما تلاشى القبس الأحمر الحافت كما تلاشى الأمل من صدر
رؤوف ، تنفس الكهل الصعداء وأخذ يحرق على الأرم وهو لا
يزال ينظر بعين متقدمة مضطربة بنار الفلّ والموجدة ، الى الجهة
التي غابت فيها السيارة ، ويناجي نفسه قائلاً :

.. تباً لك يا منير من جلف قاسي الفؤاد ! تباً لك من جبار
عُتلّ لا ترحم ! تباً لك من دنيء لئيم النفس لا تحفل كرامة غيره
من الناس ! ولكن . . . ويحك من احمق غررت بنفسك وعرضتها
للتهلكة ! ستموت يا منير . . فقد سمعت لحثفك بظلفك ! ستموت
يا منير . . لأني لن أدعك تشهر بي فتقضي على ابني حسرة وكمداً !
لقد حكمت على نفسك بالموت . . فلتسق كأس الموت ولتذق
وبال جورك وظلمك وبغيك ! وليعيش ابني مرفوع الرأس موفور
الكرامة !!

ومضت ستة أيام وأرسل رؤوف من يجيء له بنجا - ونجا
مارد جبار سهل الانقياد ، وهو أبله شديد الغباء . وكان يطيع
رؤوف طاعة عمياء . . ولا غرو فقد انقذه رؤوف من شرّة الجوع
والسغب ، وألحقه بالعمل ، وأسبغ عليه الكثير من العطايا والمنح
مقابل ما كان يؤديه له سراً من الخدمات التي لا يعرف كتبها أحد

سواءهما . .

فهما مثل بين يديه في اليوم السادس ، قال له رؤوف وهو يومض بعينيه :

— إنني مضطرب يا نجبا . . انني في حرج وضيع . . ولا يفرج عني شديتي ويخفف كربتي إلاك يا صديقتي ورفيقتي . . هل تفهم ما أقول ؟ !

فطفتح وجه المارد بشراً ولبعت عيناه تحفزاً ، وهتف :
— نعم . . نعم . . انك تصطفيني من دون الغير لنجدتك ومساعدتك ، لأنك تثق بي . . فاعلم بأن نجبا يقدم حياته من أجل مرضاتك !

واستطرد رؤوف كأنه لم يسمع ما فاه به الرجل :
— قلت لك انني متعرض لشر مستطير ، وأزيدك إيضاحاً بأن عدوي اللدود قادم غداً الى هذا المكان . وقد نددت بك ايها الخالص الوفي لكي تريحني منه . فهل في وسعك القيام بهذا الأمر الخطير ؟

قال :

— إن نجبا طوع أمرك . . إن نجبا خادمك الأمين . .

قال :

— ويسرني ان تحكم عمالك فتخفي جثة هذا الدنس حتى لا يعثر عليها أحد من الناس . وثق بأنك إن أسديت لي هذه الخدمة أنقذت حياتي من الموت المحقق الذي ينتظرني على يد هذا الرجل واصحابه الأذدال . . واسكي تدرك وطرك فلا تخطيء القصد ، لا تنس ان

عدوي هذا يضع على عينيه نظارة ويدخن غليونه باستمرار . .
وفي منتصف النهار التالي وجدت سيارة منير خالية دامية في
مكان قريب من المصنع . وما كاد خبر السيارة الحاوية المصطبغة
بالدم ينديع حتى هرع رجال الأمن الى المصنع فاستجوبوا الخدم ،
وضيقوا الحناق على العمال والموظفين ، وناشدوا رؤوف ان يبذل
قصارى جهده في تقصي الجريمة وجمع خطوطها ، حتى يتسنى للأمن
ضبط المجرم الأثيم والعثور على جثمان منير المسكين !
فوعدهم خيراً وأكدهم بأنهم لن يألو جهداً في تعقب آثار الجاني
والبحت عن القاتل !

وتصرم من الزمن شهران ، ولم يتوصل أحد من المحققين إلى
كشف النقاب عن سر الجناية الدفين ، فأسدل عليها ستار النسيان ،
ولم يعد أحد من المسؤولين يذكر منيراً إلا لماماً . .
وكان رؤوف خلال تلك الفترة يتعجل الأيام ليحظى بلقاء ابنه
الشاب ، وكان يتحرق شوقاً الى اليوم الميمون الذي يكحل فيه
عينيه بطلعة وحيدة ، ويتمتع بمحادثته ومناسحاته بعد تلك الغيبة
الطويلة . .

وبينا هو ذات يوم يشرف على بعض الأعمال في المصنع ، إذ
مر به ضابط البوليس : فلما رآه رؤوف وحياه ، قال الضابط وهو
يمش ويتسم :

- ليهنك لقاءك بابنك يا صاح . . لقد انتظرت سنين ، وها
أنت ذا تكافأ على صبرك واحتمالك . . أما ابنك فهو مثال الشاب
الأريب الأديب . . .

فتطلع إليه رؤوف مشدوهاً مبغوتاً وقاطعه قائلاً :
— كفاك مزحماً وسخرية يا سيدي . . إني لفي شغل عن

الهزل . .

قال :

— وعلام اسخر منك ؟ وهل سبق ان ماجنتك حتى تتخذ
جدي عبثاً ؟ لقد عرج علي ابنك البارحة ومكث معي زمناً ثم
ودعني ومضى في سبيله !

فاحتاج قلب رؤوف اختلاجة اخوف ، وتندى جبينه من
العرق . ولكنه تجلد وكظم ما به وقال :

— انه لم يأت يا سيدي . . فأين ذهب يا ترى ؟ أين ذهب ؟ !

قال :

— ليفرخ روعك وليهدأ خوفك . فلا جرم انه ضل الطريق ،
فلما تشعبت به السبل عجز عن ساوك الجادة التي كان يخلق به ساوكها
ليصل إليك . . إني ذاهب الآن الى مكثي وسوف آمر رجالي
بالبحث والتقصي حتي يأتوك به سليماً معافى

ما كاد الضابط يغادر رؤوف المضطرب الوجل ، حتى بوز نجاة
كالشيطان الرجيم . . فتطير رؤوف ساعة رآه قادماً وتشاءم حينما
أقبل عليه يلثم رأسه . . . ولكنه كبح جماح نفسه وكم ما جاش
في صدره وسأله مستفهماً :

— ما وراءك يا نجاة ؟

— ورائي كل خير يا مولاي . . ألم تحبس ما فعله نجاة ؟ ألم
تحدثك نفسك بما قام به نجاة ؟ ألم تشعر بالفرح والانشراح للخدمة

الثانية التي اسداها لك نجا ؟ !

فوجف قلب رؤوف وامتقع لونه ، وشخص الى نجا مذعوراً
معقول اللسان . . وطقق يستعيد كلماته - « للخدمة الثانية التي
اسداها لك نجا ؟ ! »

وما عثم أن أن أنين الشكلى وأعول عويل المفؤود ، وعلق
يحملق في الوجه العريض الجامد وهو يردد ويرتعش . . ثم تبرقع
وجبه بالا كفهرار والعبوس وصاح بصوت أجش مبجوح :
- سحقتاً لك يا نجا . . ماذا فعلت ؟! ويحك أيها الملعون . .
ماذا اجترحت ؟ !

فابتسم نجا بسمة النصر والظفر وأجابه قائلاً :
- كان يضع هو الآخر نظارة على عينيه ، ويدخن غليونه
باستمرار . . فاصطدته وألحقته بسلفه . . انها مشيئة الله يا مولاي!
فصرخ رؤوف وقد احتقن الدم في وجهه :
أف . . أف . . يا للمنتقم الجبار ! إبنى . . إبنى . . إنها
مشيئة الله . . أجل إنها مشيئة الله !

وما أبطأ ان شهر مسدسه واستملى بصوت عميق رهيب :
- انتهى كل شيء ! فالى الجحيم يا نجا . . وإلى الجحيم
يا رؤوف . . فالله حائق عليكما منتقم منكما . .
وانطلقت رصاصات . . وانطلق الخنف لا يبطن الى
صدرين !!

قلب الأب



هو أب وأبنة حياته وروحه وأمله . كان يحنو على الطفل ويكلأه بعنايته ويحيطه بحبه ورعايته ولا يذخر وسعاً في الترفيه عنه وتوفير الحياة الرغيدة له في كل صباح كان يطعمه ويسقيه ويقضي له جميع حاجاته ، ثم يصحبه إلى المدرسة . .

وفي كل مساء كان يعرج على المدرسة فيسترجع طفله ويقفل راجعاً إلى منزله . .

وما أكثر ما تسأل الطفل عن أمه . وما أكثر ما طلب إلى والده في إلحاح أن يجمعه بأمه . وكان الرجل يتذرع حيناً بالصمت ، وحيناً آخر كان يلمس الأعدار ، فيمني الطفل باللقاء الوشيك ، والألم يحز في نفسه ويكاد يمزق مهبخته ويفرمي حشاه ! وكانت أسارير الطفل تشرق جذلاً وطرباً كلما سمع من أبيه هذا الكلام ، وكلما مناه أبوه بقرب اللقاء . .

وكان قلب الاب يذهب شعاعاً كلما أعياه تفكيره عن الاهتداء
الى وسيلة يدفع بها المحنة قبل وقوعها . .
وكان الغلام فطن الى الحقيقة المرة من تردد أبيه واضطرابه .
وكانه أدرك بما رآه من حيرة أبيه وقلقه ، أنه مقضي عليه ان يحرم
من الام على نقيض أترابه ولداته ، فتهاقت روحه وفاض كربه
ورغب عن الطعام وانصرف عن اللعب وانطوى على نفسه لا يحدث
أحداً إلا نفسه !

وما لبث الشجوب أن علا محياه ، ففاض رواؤه وذبلت نصرته ،
وأضحى ساهم النظرات لا يضحك إلا غباً ولا يبسم إلا اماماً !
وفطن الاب الى ما طرأ على ابنه ففرق من الطارئة الملمة ،
وروع من الداهية الداهية ، وود لو افتداه بنفسه ، واشتوى هناءه
وراحته بروحه وجسمه . . ولكن أنى له هذا ؟ أنسى لة ان يجلب
المسرة إلى قلب طاهر بريء يتوق إلى حنان أم رؤوم تسبغ عليه
عطفها ومحبتها وإخلاصها ؟

ولزم الطنل الفراش وقد وعكاه الاعياء والسقم ، ومغث في بدنه
ألم الروح والنفس . . وعاده الطبيب فيحار في أمره ولم يهتد الى
موطن الداء في جسده ، ولم يدرك أهو المرض المستفحل ينشب فيه
مخالبه السامة ، أم هو الهم والغم يمثلان به كما أعرب الأب الملتاع ؟
وكيف للطبيب الرشيد ان يصدق أن لمشل هذا الصغير كلوماً لا
تشفى ؟ !

وهضت أيام والرجل المهيبض الجناح الكسير القلب يتقلب على
نار من اليأس والاسى . . ووحيدة يتماهل بين الصحوة والانحاء . .

إذا فتح عينيه طلب امه . . . وإذا أغضضها طلب امه . . . وإذا سبغ
في بحر ان من الدهول والشرود والهديان طلب امه . . .
وزحف الموت المريع وهو لامع العينين ، ينظر إلى الفلام
الصريع بشراة ووحشية ، ويتمظ بشفتيه ، ثم يدور حول الفراش
ويفرك راحتيه - فما اشهى الفريسة ! ما اشهى الثمرة الدانية
القطاف ! ما اطرى العود الذي يوشك ان يقضمه ويتمتع بالتهامه ؟ !
وبذل الرجل ما في وسعه ليندود عن ابنه غائلة الموت . وأنفق
المال بلا حساب ، واستنجد بأشهر النطس والاطباء ، فلم تعد عليه
جهوده جميعاً بطائل ، ولم يزحزح المنون قيد اذنة عن فراش الفتى
الراقد في سكون واستسلام . . . بل لبث الموت المريع رابضاً في
مكانه يتربص الدوائر بالعليل بصبر لا ينفد ، كأنه لا يرضى عنه بديلاً !
وجلس الرجل كعادته في اصيل كل يوم ، قبالة سرير الصغير .
ومثل الحمام لعينيه ، فتوجع وتحسر ، واستهبرت عيناه ، وهمي
دمعه ، وبكى ما شاء له البكاء . . . ثم جثا على ركبتيه ، ودفن
وجهه في راحتيه ، وطفق يصلي بخشوع وخضوع :

« اللهم . . . اللهم . . . نرج ابني

« اللهم . . . اللهم . . . أبق عليه

« رباه . . . أيها العلي القدير . . . خلاصه

« رباه . . . جد علي برحمتك

« جد علي بمجناتك . . . جد علي برضوانك

ودخلت الشمس في الطفل والرجل الحائر اللاغب يضرع الى
الله ويبتهل إليه بعبارات متقطعة مسترحة
وخفتت الاصوات في الشارع ، والرجل لا يفتأ يستصرخ الله

ويستجير به ويجار إليه

وصيح سمعه بغتة صوت ابنه يهتف :

« أماه . . أماه . . وافرحتاه . . أهلاً بك يا أماه ! »

وطرق الباب في تلك اللحظة ، وحمد الرجل في مجشمة لا يتحرك
و كأنه سمر من ركبته إلى الأرض . . .
وطرق الباب كرة ثانية ، فاهتز جسده وارتعدت فريسته ،
وتندى جبينه من العرق - أهو الموت ؟ أهو الموت ؟ أهو الموت
الكرهه يبغى هصر العود الرطيب ؟ !

وتداعى الرجل المتشنج ، وسقط على الأرض مفشياً عليه
وما فتح عينيه رأى امرأة أو شبح امرأة ، تحتضن ابنه الحبيب . .
فانتفض انتفاضة الفرع والدهشة ، وحلق في المرأة الناحلة الضامرة ،
ونظر إلى ابنه المريض في بدنه ونفسه . . فألفا عينيه تشعان بنور
الحياة ، وشفته تفرقرق ان بضحكات الحياة . . ورأى في الخدين
الناضبين حمرة كحمرة الشفق . . والتفت الى الموت فألفاه
منكمشاً على نفسه من الحيبة والفسل !

ونظر الغلام إلى أبيه وقال وهو يعانق المرأة ويضمها إلى
صدره :

« أبي . . أبي . . لقد رجعت أمي . . لقد رجعت إلي . . »
واستدارت المرأة في ذعر ووجل فاحية الرجل المدهول المشدوه ،
ولم تبطئ أن أمسكته من يده وجعلت تمطرها بقبلاتها وهي تقول :
« المغفرة . . المغفرة . . لقد حطمت فؤادك ولوثت اسمك
ولطيفت شرفك بالرجس والعار ، وكدت أقوض صرح بيتك على

رسك ورأس فلذة كبلك .. ألا فاصفح عني وانغض عما اجتوحت
واقترفت !»

وحاج الرجل الحاطئة النادمة بنظرة صارمة قاسية ، فغلى الدم
في عروقه وكاد يبطش بها ..

ورنا الي وليله انذي عادت اليه الحياة .. ونشب عراقك في
صدره وأي عراقك .. ودارت رحي معركة خروس وأي معركة ..
ورجعت ككفة على كفة .. وانحنى ببطاء .. وأنغض عينيه
المغرورقتين وهو يقبل الحاطئة !

موت عذراء



ما دمت لا أجد سبيلاً إلى النوم كلما حاولت ذلك ، فأولى بي
ان أكتب إليك لأبشك اشجانني وأوحي إليك بالآمي ، وأطلعك
على ما قضت مضجعي وكحل بالسهاد جفني ..
إنني اشعر بانقباض شديد .. بل إنني لم أشعر طيلة أيامي المتصرمة
بهذا الحزن المرير الذي لا يقرب إلا ليهبج ، ولا يخمد إلا ليضطرم
ويستعر

ولقد سوت لي نفسي مراراً أن أكتب إليك ، فكنت أتردد
بين الاقدام والاهجام .. أفكر ففكر المتحورز من العاقبة ..
واضطرب اضطراب المتماهل بين امرين ..
ولعلك تتسائل ساعة تطلع على هذا الكتاب ، عن مبعث حزني
ومنشأ شجني .. وسأكفيك أيها الصديق عناء التفكير في أمري ،
ومشقة اكتناه سري
فأنا منذ سل الزمان علي سيفه القاطع ، ودمني بالخطب الفادح ،

وقصف عود هذه العذراء الرطيب ، لا أبرح أراها في الليل والنهار ،
ولا ينفك " شبحها يطوف بي كلما هجعت عيني وغمض جفني
فقد بلغ من قلبي الحب لهذه الحسناء مبلغاً لا ضهي له .. فقدستها
وعبدتها بالرغم عن انصرافها عني وانشغالها بمن لا يستأهل حبها
ولا يستحق قابها ولا يساوي قلامه من ظفرها !

وإني وايم الحق ما وقع ناظري على صنوٍ لهذه الانساة الكاملة
في الخلق والخلق .. لا ولم أرقط امرأة في ريق العمر وموعة
الشباب ، أشد ضبطاً لأحاسيسها ومشاعرها منها .. فانها
لم تفارق الابتسامة فمها أثناء حياتها ، كما أنها لزمّت شفيتها إبان
عبورها في الجسر المفضي إلى الأبدية ..

وما أكثر ما ارهقني فكري ومضتني ذكرياتي ، وما أكثر ما
غثت نفسي وتهافتت من النصب والاعياء وروحي ، كلما تراءت لي
وهي تجود بأنفاسها

ففي الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم المشؤم دعيت على عجل ،
فأهرعت إلى مسكنها وأنا واجف القلب مرتعد الاوصال . فلما
ولجت الخدع المتسع ، كان أبوها أول من استرعى انتباهي - كان
يجثو بجانب السرير وهو قابض يده المحتضرة بكلمات يديه .. وكانت
وجهه المكتئب المكفهر مبللاً بالدموع المنهرة كالطر من مآقيه ..
ومع أنها هي التي كانت تقاسي عذاب الموت ، إلا أنني سمعتها
تواسيه وتشجعه ، ولا تفتأ تبسم في وجهه

وفي الناحية الأخرى من السرير ، جلست امها الطيبة النبيلة .
وكانت ملاحظها الجامدة الساكنة تنطق بوضوح بما يتأجج في صدرها

من نار الشجاء . وكانت تتكىء على حافة السرير وتسند رأسها
بذراعها

ولم تكفد الام الواهية تشعر بوجودي حتى رنت إلي بطرف
كسير وهتفت بصوت متلهف حسيو : « أواه يا سيد جلال ! أواه !
إبنتي العزيزة .. ابنتي الطيبة .. » وخنقتها العبرات وماتت في
جوفها العبارات !

وكانت شقيقتها معقودة الأصابع معقولة اللسان ، متجهة بعينيها
الجاحظتين إلى سقف المخدع ، كأنها تستجدي المساعدة وتستدر
العون من لدن الله القادر على كل شيء . وكانت تجثو هي الأخرى
بازاء السرير وقد همت مدامعها ، فتدحرجت القضبات الحارة على
الحدين الفافرين ...

وجالست الممرضة على ركبتيها بين الأب والأم . وكانت يداها
مدويتين إلى الأمام ، وهي لا تفتأ تلقي على المحتضرة نظرات
التفجع والتوجع (مع أنها ألفت مثل هذه المشاهد التي يهد فيها
جسد وتصعد روح) . فلما دلفت إلى المخدع التفتت نحوي و كأنها
تستجثني على الاشتراك في هذا الحزن العارم العميم والشجو العظيم
الذي لا يريم .. وما كدت ادنو منها حتى وكفت عبارتها من جديد ،
فسجم دمعها السخين بسخاء عجيب !

أما الخادمة المعتمدة برأسها على قائمة السرير ، فقد حرصت على
التعبير عن حزنها وأسائها بطريقة أشد وضوحاً من طريقة سواها بمن
أحاط بالسرير وتجمع حول الحساء العليل
وكانت الحساء المحتضرة التي شفها الدنف وأضرها المرض

تحرك شفيتها دون أن تنطق . وكانت كما قلت ، تضع إحدى
وراحتها في يد أبيها . إلا أنها تأوّهت عندما هتفت أمها باسمي .
وما عثمت إن قامت بصوت هميق النور :

« أواه ! يا سيد جلال .. انني أعزو للقدر واخضع لحكمه ...
ولا يسهني إلا أن احمد الله على رأفته وشفقته .. وأستغفره على ما
فرط مني من ذنوب وخطايا .. وأبتهل إليه أن يعجل بالحائمة ..
لأرتحل عن دنيا الفناء في لحظات .. فينتهي بذلك هذا العراك الناشب
بين غريزة حب البقاء وبين داعي الفناء ... »
ونحمت بصرها إلى أبيها المفلطور الفؤاد ، وألقت عليه نظرة
هادئة ، وقالت :

« تجمل بالصبر يا ابي .. تجلد .. ولا تجعلني أومك على وهناك
واستخذائك .. وعلى أنايتك أيضاً وأثرتك .. فأنت كما يتراءى لي
لا تود ان تراني هائثة سعيدة .. أو أنت كما إخالك ، لا تبتغي لي
الراحة الأبدية السرمدية التي تعقب هذا العناء وتخلف هذا الشقاء .. ! »
وتوقفت عن الكلام ، وساد صمت وسكون ، وانشأت العليقة
اثناءه تتأمل وجهي الجهم المقطب الحاجبين ؛ واستطردت بعد
قليل تقول :

« ما هو الموت يا عزيزي ؟ ما هو الموت ؟ أليس الموت أمراً
شائعاً بين الملائكة أليس الموت أمراً مكتوباً على الأنام ؟ فلم الخوف
منه إذا ؟ ولم التفجع على من يمضي ويذول ؟ إنه ليس بالحدث الشاق
لو تفكر الانسان وتبصر - ليموت امرؤ .. ماذا هناك ؟ ليموت ..
فيرتاح .. ويريح ! لا وانتي والحمد لله قد اتخذت الالهة وأعددت

العدة لمثل هذه اللحظة الفاصلة .. ولهذا ترأى عامرة القلب بالأيمان ..
مفعمة الصدر بالأمل ... »

وشع وجهها الشاحب في تلك الاثناء بنور الأمل .. بل بنور
السعادة .. وطفحت أساريرها الناحلة بفيض زاخر من الثقة
والاطمئنان . فأخذني العجب من هذه النفس المطبوعة على القوة
والعزم ، أجل .. عجبت لهذه النفس المستسامة لحكم القدر الواثقة
من حسن المعاد .. ونسيت نفسي ونسيت غمي في غمرة هذا
الاعجاب والاستغراب !

وجعلت العذراء القريبة من الموت تستجمع قواها الذاهبة ،
فتململت في فراشها كأنها تستمهل الموت ريثما تفضي بذات نفسها .
ولم تعتم أن تابعت حديثها بصوت متهدج :

« أرجو منك أيها الصديق ان تتعاني إلى شقيقتك بكلام جميل ..
وأن تصف لأمك مبلغ ما أكنه لها من حب ومودة واخلاص ..
أخبرها باني دعوت لها وطلبت بركة الله عليها .. أطعمها على ما
أضمه لها بين جوانحي من شكر وعرفان ، على ما اسدياه لي من
إحسان .. أخبرها بأني لفظت انفاسي وأنا ألهج بذكرها واتلفظ
بامميتها .. طمئننها عني .. طمئننها حتى لا يُرَاعَا ولا يفزعَا ...
وصف لها مبلغ هدوتي ومقدار ركوني إلى هذه الرحلة . ! »

وجهدت الكلمات ثانية على شفيتها ، فأغمضت عينيها ، ورفعت
يديها ، وجعلت تمر أصابعها على جبهتها المعروقة ووجنتيها
الناضبتين ، وهتفت بعد هنيهة يسيرة تقول :

« أيها الموت ! لقد سللت عليّ سيفك لتفزعني .. أيها الموت لقد

تجهمتني واستقبلتني بوجه كريمة لتروعي .. ولكنك فشلت وبؤت
بالحياة .. لانني لا اخافك .. لانني لا اخشاك !!

ثم استدارت فحونا فرأينا تلمهين في حزننا ، سادرين في شجوننا ،
فقال متسائلة :

« ما بالكم ايها الاعزاء ؟ ماذا دهاكم حتى غاب عنكم أن ما
أبلوه الآن هو عراقك طفيف بين الروح والجسد -- لتتحرر الروح
في النهاية من قيود الجسد .. من ربك الشره والكمد ... »

وتوقفت عن الكلام مرة اخرى وطفقت تتنفس الصعداء وتنظر
الى السماء .. وارتمت على شفيتها الرقيقة بين الباهتين ابتسامة
حلوة ، كأنها ترحب بما يربص بها ويربض لها .. ثم حولت رأسها
الى ناحيتي ، وصعدت طرفها في قامتي ، وقالت لاهثة :

« قل لظوسون اني اسأله .. أنبئه أني نسيت إسماءه .. أخبره
أن قلبي الذي عمر بحبه ، لا يتسع لبغضه .. انقل له صورة صادقة عني
وانا اصلي من اجله وأضرع الى الله ان يعفو عنه ويصفح عن زلته .. »
وشخصت المشقة بطرفها الى السماء ، وشرعت تصلي من اجل
الرجل الذي اساء اليها وغرر بها .. ثم استقلت :

« صف له ما اشعر به من سعادة وهناء .. وانا على ابواب
الآخرة .. بلغه تمنياتي له بأن يلقي وجهه ربه بسلام واطمئنان عندما
يحين الحين ويحجم القضاء .. ما بال نظري يضعف ونفسي تخثر ؟ ما
بالي ارى سحابة تظلل ناظري فلا ابصر بكم ولا اسمع صوتكم !
أليست هذه يد امي ؟ اعطني يدك يا جلال .. »

وامسكت بأصابعي واصابع امها ، واردفت :

« ليباركها الله .. ليبارككم جميعاً .. وليسعدكم في حياتكم
وموتكم ... »

وعادت الى الصمت وثقل نفسها وتقطع ، وغامت عينها ، واخذ
صدرها يعلو ويهبط . وقالت بعد دقيقة :

« وانت يا اختاه يا من كنت لي خير معين في الشدائد والملمات ..
تقبلي شكري الخالص .. وقولي لصديقتنا ماجدة .. بانها ستصبح
يوماً ما .. ستصبح من النساء المخدرات .. في السماء .. لانها ..
وهي المعذبة على الارض .. المظاومة .. المهيمضة الجناح .. لن تمنى
بهذه الدواهي في السماء .. لن تلقى هناك إلا كل خير .. وكل
محبة .. لانها كريمة في شدتها .. كريمة في رضائها .. لا تحقد ولا
تنقم .. بل تعفو وتصفح .. ولا تسوء من اساء اليها .. بل تغفر له
وتتغاضى عن سيئاته .. اخبريها بانني تذكرتها في ساعتي الاخيرة ..
وذكرتها بكل خير .. »

ولن انسى ما صيدت لهجتها المتقطعة و كلماتها اللطيفة التي كانت
تتفوه بها وهي في لهاث الموت . لا ولن انسى جرس صوتها العميق
الغور الذي عاد يقول ، بينما عادت يدها تضغط برفق على يدي :

« ارجو ان ترعوي يا جلال .. ارجو ان تقيء الى نفسك
فتقلع عن غمك .. فهذا خير لك .. ألا ترى مصير الانسان ؟ ألا
ترى كيف يمضي و كأنه ما وجد و كأنه ما كان ؟! »

•

وتذكرت طوسون في تلك اللحظة الرهيبة وتذكرت ما جره
على هذه العذراء من ويلات ومصائب ..

فقد شغفت بها وتدهمت بحبها ، وربطت بيننا أوامر صداقة
متينة . وحدثتها بما أكنته لها وأشعر به نحوها من لواجح الحب
والهيام ، وأطلعت والديها على وخيلة أمري
والكنها كانت في شغل عني - كانت متعلقة برجل سواي .. وكان
طوسون هو ذلك الرجل الذي استولى على لبها واستأثر بحبها
وغرر بها اللعين ، وحاول أن يخدعها ، وراودها على عفافها
وتطلع الى سلبها من أعز وأغلى ما تملكه عذراء مثلها ! فلما فشل في
مسهاه وأعيته الحيل ولم ينل منها وطراً ولم يبلغ مأرباً ، جفاها وهجرها
متناسياً وعوده وعهوده وآماله الطوال العراض التي كانت يبشها لها
بكلماته المعسولة الناعمة ..

فانطوت المسكينة على نفسها تن من الرزء وتتوجع من النائبة ..
والعجيب الفريب في أمرها أنها كتمت ما في نفسها فلم تبوح
لأنسان بدخلتها ولم تطلع إنساناً على ما يكرهها ويروضها ، ولم يزرها
طوسون طوال أيام علتها ، كما انه لم يأت لزيارتها وهي على فراش
الموت ، فأماط اللثام بذلك عن خسته ولؤمه وحقارة جبانته !
ومع ذلك فقد غفرت له وصفحته عنه - فقلبها الكبير ما كان
ليتسع للحقد والبغضاء !

وألقت برأسها في تلك اللحظة على الوسادة ، وأغضت عينيها .
وسكن نفسها ، وتشنجت عضلاتها . فخيّل اليها أنها لفظت انفاسها
الأخيرة ، فأعولنا بصوت واحد ، وكأن الحزن والكرب المكبوتين

المفاولين قد وجدا لهما مخرجاً في هذه الصرخة التي نبرنا بها جميعاً !
بيد أننا نزعنا عن اعواننا ، وتما لكنا روعنا حينما تقلبت ثانية في
مرقدها .. وما عتمت ان حركت يدها صوبنا ، وهزت رأسها
الجميل عدة مرات كأنها تدعو لكل واحد منا على حدة ، وقالت
وقد عرتها وعشة وانتابتها رعدة :

« الوداع ... الوداع ... الوداع ... إني ذاهبة »

وغشيتها سحابة الموت !!

الأديب اليأس



كان الأدب لي بمثابة الماء والهواء أنتجعه في كل مكان وزمان ..
و كنت رابع إخوتي نجح جميعهم في مضمار العمل وتقدموا شأواً
بعيداً في شتى نواحي الحياة . اما أنا فبقيت في المؤخرة لا آبه بال إلا
ما يقيم الأود ويعني عن المسبغة والمتربة واعتلال الجسد .. ولا
اكثرث بجاه مزخرف ولا بعروض مؤثر ..

و كتبت وألفت ما شاء الله لي أن أكتب وأن أوّلف ، وطويت
ما كتبت وما ألفت وما دججه يراعي من الروائع طي النسيان في
درج مظلم معتم من أدراج مكتبتي .. ولفني النسيان كما لف كتي ،
ولم يعرفني احد أو يحفظني إنسان ..

وغمرني اليأس وطغى على قلبي القنوط وأصبحت كالشريد التائه
في بيداء لا أول لها ولا آخر !

وكان الاملاق يحفزني أحياناً الى التفكير في وضع حدّ لهذه
الحياة التعيسة البائسة .. بيد أن نظرة واحدة إلى ما تفص به

مكتبي من فصول ومقالات وكتب غنية في معانيها ومبانيها
كانت تصرفني عن ارتكاب فعلتي وفهم حبل حياتي ..

و كنت أتساءل لم اليأس ما دمت في منشأ عن الطمع
والطموح ؟ و كنت أعجب من نفسي .. فأنا متناقض في مبادئتي ،

متناقض في مشاعري ، متناقض في أهدافي ! أنا ريشة في مهب ريح
عاصف ، لا أعرف لي قراراً ولا إقبلي سكينه ولا لحياتي استنباباً !

وجمعتني الصدق بشاب في مثل عمري ، أنعم الله عليه بثراء

واسع وجاه عريض .. إلا أنه كان لا يمتاز بشيء من النجابة
والذّه ، ومع ذلك فكان يصبو إلى قرن بسطته بشهرة ذائعة ،

ونعمته بصيت منتشر ، وروخائه بمكانة رفيعة في المجتمع

فلما اطلع على سبب شقوتي ، وأدرك أن الأدب قد جرّ علي

المصائب والأشجان ، وأن العقل النير الثاقب قد أدّني وكظني

وأسلمني إلى عوامل البؤس والقنوط ، راودته فكرة الشهرة ،

وأحلت عليه كأشد ما تلحف فكرة ، وصور له خياله ما سوف

يكتنف شخصه واسمه من الاحترام والتبجيل إن هو أضفى علي

ماله وغناه ، أدبي ولو ذعيتي .. وان هو عكس علي مرآة ثرائه

نبوغي وههبتني ..

وعنت له فكرة بسطها لي دون تردد . ففجئت بل فزعت ،

واكنني تريث وقهلت واستعرضت حالتي وفكرت فيما أنا فيه من

ضنك وعوز ، وما يكون عليه حالي إذا ما قبلت عرض رفيق ،

فأعطيته نتاج ذهني وعصارة روعي ، وأعطاني هو عوضاً عن أدبي

وقلدي ، مالاً ورغداً وبلهنية !

ولم أعم وقد استفحل الأمر معي وبلغت النفس الترقوة ، ان
مالاته على عقلي وظاهرته على فني وصرت أكتب باسمه وأتقاضي
جعلاً محترماً يمكنني من العيش في خفض ورخاء

وبدأ الناس يلهجون باسمه ويلغظون بذكره ويوجهون إليه
عبارات المديح والاطراء ، ككاتب تحرير له نهجه المستقل ، وله
طابعه الخاص ، وله فوق هذا وذاك قوة الابتكار والوضوح !
ولا كنت الصيغف اسمه وبشرت الناس به كقائد من قادة الفكر
وكزعيم من زعماء التحرر من أغلال القديم ورجعية القديم
وتزمت القديم !

ودرّ علي صيته الجهمّ من المال .. ولكنه درّ علي ايضاً الشيء
الكثير من الهمّ والغم .. فقد مضت مضضاً شديداً ، وطفقت
أثقل على نار لاسعة مضطربة .. فالجميع ينطقون باسم رفيق
ويتمدحونه ويظرونه .. أما أنا ! انا الشقي المعذب الذي يسكب
مشاعره وأحاسيسه على القرطاس ، ويبسح فنه وموهبته مضطراً
مكرهاً .. أما أنا ! أنا الحائر اللاغب العائر الحظ ، فلا يعرفني
إنسان ، ولا يابه بي إنسان ، ولا يكثوث بحياتي أو موتي إنسان !
وما أنس لا أنس موجة التقريظ التي تضافرت الجرائد العربية
قاطبة على القيام بها لقصة « الجهاد » التي نشرها باسمه .. وهل يغرب
عن بالي ما دمت حياً أرزق كتاب « العقاب فلسفة » الذي أضفى
عليه من رونق الاخراج ما بهر الابصار وسبى العقول ؟ وكيف
لا أتذكر تلك القطمة الخالدة من قطع الفن التصويري الرائع التي
أبرزها في ثوب « المنفي » والتي شذت الكتاب والشعراء وأهل

المذاهب ؟ لا... لا... لا... لن تزول هذه الذكريات ! لا...
لن أنسى أبناء أنجبتهم وبذلت روحي وحياتي وهنائي وسعادتي في
سبيل تكوينهم هذا التكوين الملهم العجيب

•

وتعرفت بها في بيت رفيق - تعرفت بخطيبته سارة .. تعرفت
بصورة ناطقة باللفظ والدمائة .. بل تعرفت بحورية من حور
الجنان - فخفق قلبي ووجب وجيب الحب ، وأحسست بهناء طاغ
لم يداخل حسي فيما مضى . وتضاعف حبي وهيامي عندما أفضت إلي
بذات نفسها واطلقتني على سبب حبها وتدلها برفيق . فهي لم تعرف
به كرجل ثري ، بل احبت فيه أدبه .. وهي على هذا لم تحب رفيقاً
بل احبت نفسي ونبوغي وفني ! أجل .. أجل .. هي أحببني
انا ! انا !

وسولت لي نفسي أن أحدثها بقصتي وأطلعها على حقيقة
أمري .. وزينت لي روحي أن أميط لها ما خفي من أمر خطيبها ..
ولكنني ترددت واحجمت وقض مضجعي هذا التردد والاحجام ..
وذكرت رفيقاً وصرت أسنأه وأقلاده .. ولكنني لم أفصح أمره
وأشهره ، حتى لا ينضب هذا المعين الذي لا ينقطع
وكنت أشعر بالشجى في حلقي وبالغصة تكرب حياتي كلما
نحزتني الكراهية واعمى بصري الحقد .. فرفيق رغم تدنيه الى
هذه الوهدة كان ذا نفس طيبة وإخلاص وصدق . وهو مع شغفه
الشديد بالشهرة والصيد مهما كانت طريقة اليه ، ما برح يتخلق
بالحلم وسعة الصدر .. ولا مندوحة لي عن الاعتراف له بهذه الجانِب

المضيء من شخصيته وسجيته .. وهذا ما جعلني أتردد وأتردد حتى
غدا ترودي عبثاً آخر .. أو بالأحرى غداً عذاباً ثالثاً بجانب عذابي
الأول في فني وعذابي الثاني في حبي ... وهو أشد العذابين وأوجعها
وأكثرهما شهراً ...

وفي معرض حديثي معها ذات يوم عن قصة جديدة أخرجتها
باسم رفيق ، طفقت ادافع بحماس عن وجهة رأيه في الناحية النفسانية
التي تمخضت عن كارثة هائلة أصابت المجتمع بأسره - وكانت بعض
الصحف قد تهجمت على الكاتب وسلقته بنقده لاذع وعابت عليه
جرأته وتمرده وثورته وعبثه بالقيم الاجتماعية - ونسيت في غمرة
حماسي انني غريب عن القصة مثلها ، فعلقته اصف لها الصور
والمشاهد وما يكتنفها وما يكمن وراء كلماتها وجملها من المعاني
والاهداف .. ثم انتقلت الى نهاية الفصل الثالث حيث فشل الحبيب
في حبه ، فرثا نفسه ورثا حبه بكلمات هي للشعر أقرب منها للنثر ،
وما عتمت ان جعلت اتلو على مسمعها هذا القريض المنشور كأني
الكاتب لا الناقل ... وأخذت اقول :

جلست مفطور الفؤاد مضطرب الفكر
أقلب الطرف في البحر المنبسط أمامي
وأرسل الى الشمس المائلة للمغيب
نظرات حزن وأسى عميق ..

فأنا ولهان فاقد الحجي ، كالموج
المتلاطم الذي لم يزل يعترك
منذ الخليقة .. وأنا حيوان كهذا

الزبد الذي يعلو صفحة اليم ،
ويدور على نفسه بلا غاية ولا نهاية
وها هو ذا الطفل يخرج الأفق البعيد
بنور أرجواني وضاء .. وها هو ذا
البدر يصاعد بهبطه وتؤردة
تخف به النجوم الزهر المتلألئة
كأنها حاشية ملك عظيم

وها هو ذا كل شيء يسكن
فالحرارة تفتر .. والضوضاء تقل ..
ومسقة العصافير تخفت وتتلاشى ..
ولا يسمع من بعد إلا أنين الريح
كأنه مع اخزن والأسمى على ميعاد
ورحت أتأمل هذه المناظر المتغايرة
واصبح السمع لتقلب الاصوات وتبدها
وانظر الى قريب والى بعيد
فلا ارى سوى اشباحاً سوداء
لها انياب ولها اظافر تقطر منها الدماء

في مثل طرفة عين خمدت في قلبي
جذوة اضاءت حناياه رشحاً قصيراً
في مثل ومضة برق خبا ما سطع
في فؤادي من نور وأمل
وانهار ما بنيت على اسس من وميل

لكم أتوق إلى رؤياك يا حبيبي ؟
لكم أتمنى أن اساجلك حديث القلب
فأطلعك على حب معتلج في سمويديائه
بروح به .. وعذبه .. وأضناه ..
وصيره الى ما هو أسوأ من العدم
رباه ! لماذا حكمت علي بالعدم ؟
لماذا سددت خطاي تجاه هذا
الحب الطاريء الجديد ؟ لماذا
جعلتني اهواها .. من بعيد .. حتى اصبحت
أنشد الفناء ، لأخلص من عاطفة هوجاء ؟ !
أيها البحر ! لتبتلني امواجك .. لتطويني
أمواهك .. ليقتف بي زبدك المرغي
إلى شاطئ مهجور منهزل
لعلك بذلك تزيل من طريقك تلك التي
أحببت .. شبحاً ملجأحاً ثقيل الظل

وما أن انتهى كلامي وصمت لساني حتى أنفيت سارة تنظر إلي
مبهوتة مذهولة ، لا تكاد تصدق ما وعته أذناها .. فتصامت إليها
كما يتطلع المذنب إلى قاضيه أو المبتهل إلى باريه ، ثم أحطتها بذراعي
وعانقتها عناقاً حاراً طويلاً وأمطرتها بقبلاقي المضطربة المتأججة ،
وبثشتها حبي ، وهمست في اذنيها ما يختلج في قلبي من الجوى والوجد
وكانت سارة طيلة ذلك تردد بصوت حالم شجي :
« هو أنت ؟ ! هو أنت ؟ ! لقد أحبتك انت .. لقد تعشقتك

في افكارك ولم تشجني برفيق أية صلة من صلوات الحب .. انني
أحببتك أنت .. أنت أيها المسكين الذي تحترق كالشمعة .. وما
رفيق سوى شبح جامد نفخت فيه من وحيك روحاً ومن إلهامك
قلباً ومن فنك جمالا وسعراً .. أنت .. أنت .. هو الذي أحببت
وفنيت في حبه ، وانصهرت في بوتقة شخصيته !

وافترقنا على لقاء ، وقفلت راجعاً إلى حجري وأنا موزع القلب
معدب الضمير ، لا أشعر بالسعادة التي ظننتها ثابرة في عيني سارة
وقلبها .. ولا أحس بالهناء الذي تراءى لي كأنه كامن في كلمة من
فيها .. فقد نخت العهد ونكثت بالوعد ونخذلت الصديق الكريم
وطعنته من الخلف طعنة نجلاء ! !

وجفاني الكرى في تلك الليلة ، فلم أعرف للنوم مذاقاً .. ولما
تبلع الفجر - و كنت قد عزمت على امر - كتبت رقعة صغيرة
لسارة قلت لها فيها :

« أنت من جبلة وأنا من جبلة ، وكلانا لا
ينتمي إلى الآخر .. انا والقنوط صديقان ،
« وانت والأمل خدنان .. انا اليأس وانت الرجاء ..
« أنا المتربة وانت الرخاء .. انا الفناء
« وانت البقاء .. انا الآلة الطبيعة ورفيق
« هو القائد المطاع .. فاهنأي به .. فهو
« لك وانت له .. والوداع !



وانا الآن اعيش وحيداً .. شريداً .. بلا قلب .. وبلا
روح .. وبلا أمل ! !

الأمير ناظم



كتب علي باب مسكنه بخط بارز « الأمير ناظم » فتذكرت
شخصاً آخر يدعى الشيخ مهتدي
كانت أمه تدعوه بالأمير وكانت اخته تدعوه بالأمير وكان
الشيخ مهتدي يدعوه بالأمير !
كنت أمر به فيصعق خده في أنفه وكبيرياء .. فاذا تواضع
وكلمني نطق الكلمات في ترفع واستعلاء !
كان يمشي مختالاً شأنه شأن الأمراء .. وكان يبط بشفتيه إذا
شاء الكلام ، حتى لتجسبه يسحب الكلمة من فيه سحباً شديداً !
فهو أمير ولا غرو .. هو أمير بحق .. ورغم الأنوف ..
وبشهادة الشيخ مهتدي ..
كان شحيحاً يدعي الكرم .. وجاهلاً يدعي العلم .. وغيبياً
يدعي الذكاء .. وثقيل الظل .. يدعي خفة الروح !
وكان هزياً شاحب اللون مفرط السقم ، لا يأكل الا مضطراً ،

ولا يشبع جوعه الا مرغماً .. وينقم في قرارة نفسه على الباري ،
لأنه سبحانه وتعالى استنّ الآلة البشرية سنة الأكل والشرب إذا
ما شاء المرء أن يبقى على قيد الحياة ..

وجمع المال وذخر الاصفر الرنات ، وزاد اتساع حدقتيه ..
وزاد اتساع جيبه .. وتضاعف جشعه .. وتضاعف طمعه !

وتراكمت الاموال في خزائنه .. وعلت طبقات الذهب
طبقة فوق طبقة ، فوق طبقة .. ومع ذلك فلم يتبدل موقفه من
البخل الى الجود ، ولا من الشح الى الكرم .. بل زاد تفانياً في
التقير على نفسه والتضييق على أهله ، والتمسك بالامارة ،
والتهافت على الامارة !

كان يخاف الماء .. أو يخاف على الماء .. أو يخاف من الماء ..
لهذا فيما كان الماء يصيب من جسده الا أطراف أصابعه وأطراف
قدميه ! وكان يخاف شرّة البرد .. لهذا فيما كان يخلع ملابسه
الداخلية الا متى تحول لونها من البياض الى السواد !

وكان على خصام متصل مع الحلاق ، لا يقصده الا لماماً .. ولا
يقرب دكانه الا غيباً .. ولا يسلم له لمتة إلا متى اختلط أمره على
الناس ، فلم يعودوا يعرفون ان كان امرأة ام رجلاً !

وكان الصدق عدوه اللدود .. فاذا قال أريد فاعلم انه لا
يريد .. واذا قال بلى ، فاعلم انه يعني لا .. واذا قال سوف أفعل ،
فاعلم انه سوف لا يفعل !

كان يتاجر بالأمّعة البالية فيشتري الرث من الأسهمال
فيبيعها .. ويجمع القطع الصدأة من الحديد فيبيعها .. ويجوب

المدن والأمصار بحثاً عن تجارته هذه .. ومع ذلك فهو يصر على أنه أمير كامل .. والشيخ مهتدي يصر أيضاً على أنه أكمل الشيوخ .. وكانت حياته في منزله حياة ركود ، أو حياة شلل وجمود .. فإذا تأففت زوجه من المال وتبومت وطلبت الافراج عنها والانطلاق من محبسها ، جاب بها ارباض المدينة وقفل راجعاً في صمت وسكينة ، وهو لا يفتأ يتحدثها عن فضيلة الابتعاد عن الملا .. ومنافع استنشاق الهواء الطلق .. والمتعة المجتناة من الاختلاء بالطبيعة ومناجاة البحر والسماء !

وإذا ما أم داره انسان ، تلدد متحيراً ، وتمثل مستعيناً وحملق بناظريه متجهماً ، وانقبلت سعنته من الرضى الى الاشمئزاز ، ومن الدعة الى الاضطراب ، حتى إذا ما فطن الزائر الى ما ألم بصاحب الدار من الضيق والضجر ، انسحب غير آسف . وتنفس صاحبنا الامير الصعداء وكأنه القى عن كاهله أثقل الاعباء !
أما ولده فقد كان يفتدق عليه مختلف الهدايا والالعب .. وما اكثر ما شوهد الطفل مفتوشاً الغبراء وقد تراكت حوله الأحذية من كل جنس ونوع وحجم !

•

وتزعر ابنه كأحسن ما يكون الشباب .. فلم تم في قلبه خلة واحدة من خلال أبيه .. فهو جميل وسيم فارغ الطول بمتلىء الجسم ، يتأنق في ملبسه ولا يرتدي إلا أفخر الثياب واحسنها صنفاً .. وتأفف الامير من طلبات ولده المتتاليه فعنفه وزجره ولذعه بكلام كالسياط .. بيد أن الشاب العنيد ما كان لتلين له

قناة .. بل أعرض عن أبيه وأغضى عن نصائحه ، ولم يازم بجادة
الاقتصاد والتوفير التي تشبث بها أبوه ..

وثالثة الأثافي أنه متى احتاج الى مبلغ من المال كان لا يترك
أباه قبل أن يحصل على المبلغ كله ..

وأنهى الفتى دراسته وأصبح شاباً مكتمل العود قوي البنية ،
عزيز النفس ، يفكر كما يفكر الرجال ويأخذ على أبيه بخله وتقتيره
واتضاع اخلاقه وطباعه

وكانت نفسه الطيبة سبباً في جزع الوالد المقتر وفزعه .. وكانت
حفاوته البالغة بالأصدقاء والحلان مصدر نصب وعناء واضطراب
للأمير الذي أخاع صوابه اسراف وحيدته !

ولم تقو رذيلته على تحدي فضيلة ابنه .. ولم يقو بخله على احتمال
جود ابنه .. ولم يقو ظلام كوكبه على الصمود تلقاء نور كوكب
ابنه .. فعراه الانطفاء وانطوى الامير المهيض على نفسه يبكي
ويندب سوء حظه .. كأنه فقد دنياه وآخرته ...

وما انفكت نفسه تشده الى اسفل ونفس ولده ترتفع به الى
أعلى ، حتى أصبح الاب والابن على طرفي نقيض ، وحتى أصبح
الاول غائصاً في الثرى والآخر متربعاً على الجودي ..

وحاول الامير أن يجر ابنه اليه .. حاول أن يهبط بابنه من
ذروته السامقة .. حاول أن يفري ابنه على تحطي الحاجز الذي
يفصل بينهما ، ولكنه لم يوفق في مساعيه وبقي الفتى قوياً راسخاً
كالطود !

واحتقر الفتى أباه واستهجن أفعاله ، وإن لم يظهر له الاحتقار ..

وتجنب ذكر ابيه الحالي من حميد الصفات .. وأقام في أعماق نفسه
مبدأ سامياً يجاهد في سبيله ويناضل في الذود عنه ، ويناصب كل
من يحاول النيل منه العداة ولو كان ذلك الانسان أبوه !
وطمع إلى الارتقاء ، وتتطلع إلى السماء .. وحفت نفسه حتى
غدت شفافه نقيمة كالمراة

وصور للامير خياله السقيم أن ولده أخطأ الجادة وحاده عن
السرائر .. والا لما اختلف عنه في الخلق والطبيع .. فشرع يهاجمه
دون هوادة ولا رحمة ، وشرع - كما قال - يحاول تقويم
اعوجاجه .. فكان كالظلمة تهاجم النور ، وكان بمثابة الاعوجاج
يتاجز الاستقامة العداة

لقد تعلم الفتى ما جهله أبوه الامير .. فاقتفى أثر الهدى وسار
في جادة الحق لا يابه بأبيه ولا يكثرث بشذوذ أبيه ..
وكانا على خصام دائم - الشاب الشرخ يريد أن يظهر بمظهر
يليق به والاب المتهافت يشمر كلما نقد ابنه شيئاً من المال كأنه
يقتلع قلبه من جنبه !

وقوي الشاب أخيراً على ابيه واشتدت وطأته عليه ، وهكذا
تحولت ايامه شيئاً فشيئاً الى سم زعاف لا يخفي يوم إلا ويفعل هذا
السم فعله في قلب الرجل ولبه ..
وتزعزع اعتقاده .. وأصبح لا يرى الا ساهماً مكدوداً يحملق
كالمعتوه ويتمتم بكلمات لا معنى لها ..

وكانت ثروته إبان ذلك تنمو وتزداد .. وكان لا يتوك فرصة
تمر الا واغتشمها لمضاعفة هذا الثراء الواسع العريض

ولكنه لم يقتنع .. بل ازدادت شراسته وتفانم نهمه ..
وطرق الباب في أحد الأيام طاروقاً ، فلما فتحه ، ناوله الغريب
ايضاً مبلغ كبير من المال ، على أنه ثمن أثاث جديد للبيت أوصى
عليه ابنه فطار صوابه واندفع يصخب ويضح ثم انطلق من البيت
لا يلوي ..

وغاب ثلاثة أيام لم يره فيها أحد ، وجزع الشاب وأوجس
خيفة من تغيب أبيه ، فبث العيون والأرصاد ، ثم طلب المساعدة
والعون من رجال الأمن ..

ووجده رجال الشرطة في صباح اليوم الرابع على طوار
طريق مهجور ... وجدوه مطروحاً على الأرض وقد التصقت
ركبته بصدرة وضم راحتيه على رغييف أسود يابس لا تأكله
الكلاب !!!



وذرف الشيخ مهتدي حسرات التحسر والتفجع على عشيره
الأمير .. وما يزال حتى اليوم يندبه ويرثيه ويقول فيه :
« وأسفاه على الأمير .. لقد كان في الدنيا أمير وشيخ تشع
روحاهما بنور العقل .. أما الآن فقد ذهب الأمير وبقي الشيخ ..
أي ذهب نصف العقل وبقي نصفه ! »

محكمة الشعب

5

المجلبجل « مارس » إله القتال يصول ويجول .. وصوته يسلع
كأنه النفخ في الصور .. والوغى مشتعل الأوار والدنيا مضطربة
في حرب ضروس بين الباطل والحق .. او بين الباطل والباطل ..
او بين الحق والحق !!

والحديد يقرع الحديد .. والنار تلتحم بالنار .. والطائرات
تنز في عنان السماء والدبابات تخور وتهدر وتدب على الارض ..
والبوارج المدججة المثقلة بالآلات الفناء تقصف بعضها بعضاً في غضب
وجنون فتمزق شر ممزق ويبتلع الميم ما بدا منذ لحظات
ازلياً سر مدياً !

والكتل البشرية تتناوش وتتصارع ، وتتنازع البقاء والسيادة ..
والسلطان والجاه .. وتتنازع ايضاً التفرد بالحول والطول ..
والشباب الناصر يساق الى النطع ليقعات من يضيئه شرفمة من
الطفاة .. ولتمتليء من تضحيتها خزائن رهط من السماسرة

والدعاة .. ولتنعم أعين شياطين البشرية الذين لا يهنا لهم عيش إلا
باراقة السماء ، ولا يصفوا لهم بال الا بتمزيق الاجسام وتفقيت
الاشلاء ...

والشباب اليافع يموت بالمتات والألوف ، فيخذ ذكراه تجار
الهرب بسفسة تافهة منمقة وباكاليل من الغار توضع على قبر
الجندي المجهول ، ويدفع ثمنها ابن الشعب .. من خزانة الشعب ..
من دم الشعب .. ويرجع المتخمون الذين ذرفوا دموع التماسيح
على القبر المجهول ، ليستأنفوا هوهم بالخلق ، وليعاودوا لعبة الشطرنج
فياً كل هذا ذلك ، ويحطم هذا ذلك ، ويقضي هذا على ذلك .. وتصفر
اللوحه من الشخوص والاحجار ، ويبقى اللاعبان في خير حال ! !



ضحك محدثنا الضابط ضحكة لاذعة واستطرد :
هذه هي الحرب ، لا منغم لشعب منها ولا ظفر لأمة منها كان
انتصارها كاملاً شاملاً ، ومنها كان اندحار عدوها تاماً مطبقاً ...
بيد انه لا مندوحة للانسان السلس القياد ما دام يسلم زمامه
لرهط من ذوي الاهواء - أن ينزل على حكم القدر ، فيخوض
المعارك ويقدم جسده قرباناً على مذبح الوطنية أو القومية أو
المنهية . أو بالأحرى على مذبح شهوات الدول الجبارة المتنمرة !
ودوى النفير العام ، ودعينا الى الجهاد - وقد تقالأت الدنيا
علينا - فابينا النداء ونزلنا الى الميدان ، وخضنا الوطيس ، وتطاحنا
وتناحرنا .. حتى مادت الارض تحت اقدامنا وكادت تسيخ
وتنخسف بنا !

ومات منا ومنهم الوف الشباب ، وعقدت الهدنة ، او فرضت
علينا هدنة على دخن ! ! وأبنا الى ديارنا نلعت دماءنا ونضمد جراحنا
ونواصل السعي في سبيل الرزق

و كنت أنا عاشر ثلثة من الضباط توثقت بيننا عرى المحبة
والألفة والأخاء في الميدان ، ووشجت قلوبنا وربط الجهاد المقدس
في سبيل الواجب والوطن

و كنا نعلم الشيء الكثير عن الفساد الذي عم الجهاز الحكومي
في المملكة ، و كنا نسمع عن المثالب والمخازي التي يندى لها
الجبين ..

وكان يوغر صدورنا ويملأها حفيظة هذا الانحلال الذي
استشرى شره واستفحل أمره .. ومع ذلك فلم نك لنظن قط أن
الحسة تبلغ بالناس شأواً يستبيحون معه الايقاع بوطنهم وطعنهم
الطعنة النجلاء بنصل الحيانة والغدر ، وقذف زهرة شبابه الى أتون
الهلاك وهم خاوي من السلاح الصالح ! لم نكن نجرأ على الظن بأن
يسف انسان مهما تناهى في الضعة ، وان يسفل مهما تنادى في الضلال
وتسكالب على المتعه والفجور فيفش قومه ويودي ببني قومه ويسلمهم
الى العطب دون وازع من ضمير أو شرف !

فلما نقلنا الى ديارنا سمعنا كثيراً من الهمس ، ثم تعالى الهمس
حتى غدا لفظاً . فارتبنا وشككنا ، وحدسنا وتكهننا ، وآلينا
بعد لأي ان نبحت ونتقصي ، وان ننتزع الحقائق والبراهين انتزاعاً
من أحشاء هذا الخضم المتلاطم من الشائعات والاقاويل
وامتخضنا الاقوال واستخرجنا الحقائق ولم نلبث ان أفرزنا

النافع الصالح من الضار الطالح ..

ثم تطلمت نفوسنا إلى معرفة الخائن الحقيقي الذي أوسع الأمة
تنكيباً وأذاق زهرتها من محاله عذاباً وسعيراً !

ثم حذفنا من قائمة السوء من تخفّ عن كاهله المسؤولية ، أو
من كان دوره ثانوياً ، أو من كان مسوداً لا سيداً مسؤولاً !

واستبقينا في القائمة السوداء من يخلق التمجيل بمعاقتهم على ما
جنته أيديهم ، ويجره سوء تدبيرهم

ووطننا العزم بعد ان اكتملت البراهين وامتلأت، لأشعة
الانتهام أن نجعل منهم عبرة لمن يعتبر

وكان عددهم سبعة رجال وثلاث نساء . وفي ليلة حالكة
الاهاب دامسة الجلباب ، طرقت أبواب عشرة ، وجيء بالخائنين

الى بناء لا ترقى إليه الشبهات . فأدخلوا الى قاعة فسيحة مظلمة ،
ثم عكس من سقف القاعة نور احمر على منصة عالية جلس عليها

ثلاثة رجال اشتباوا بورداء أسود لا يظهر منه إلا عيونهم
وأجلس المتهمون على مقاعد خشبية ودخل النائب العام وهو

متلفع بمعطف احمر رمزاً للدم المسفوح
وتكلم الرئيس فقال :

تفتتح محكمة الشعب هذه الجلسة الاستثنائية بإقاضة
من أساء الى الحقوق الوطنية ، او خدش سمعة الأمة ، او

تآمر على سلامة وكيان الشعب . ولقد انتخبت من قبل
الشعب لأت رأس هذه المحكمة العليا وأمثله في (وطنيته)

عضو اليمين : وزكافي الشعب لأنوب عنه في معاقبة من ثلم شرفه
ولأمثله في (قوميته)

عضو اليسار: واصطفاني الشعب ابو السلطات لأساهم في سحق كل
من نكب طريق الاخلاص ولأمثله في (اخلاصه)
الوطنية : أيها النائب العام ، ان المحكمة تؤثر الأيجاز وتتوخى
الراحة والصدق ، وتوغب في سماع الكلام الخسالي
من الغموض والابهام .. فابسط امامنا صفحة اتهامك ،
وبين لنا ما في جعبتك من الأدلة والبيانات ، حتى
نكون على ضوءها قرارنا الخطير ...

القومية : لأن محكمة الشعب أيها النائب المحترم ، هي أذن
الشعب الواعية ، ولأن الأمة المحطمة قد ملت العيبث
والاستهتار الذين عانت من جرائمها فيما سلف كل عن
وحيث ...

النائب العام: يا محكمة الشعب المبجلة .. أيها الرئيس الموقر .. يا
سعادة العضوين المحترمين .. يشق علي ان أصق تهمة
الخيانة العظمى بهؤلاء المذنبين .. بيد أن البيانات
المتجمعة لدي ، والأدلة المثبتة للادانة التي تيسرت
وأصبحت في متناول اليد لم تبق في قلبي مجالاً للشفقة
والرحمة والرثاء ! ثلاث بيانات فحسب أدلي بها
وأضعها أمام منحة العدل ، ومن ثم أطلب الاستماع
لاقوال الشهود .. وهذه البيانات التي اشترت اليها
تقتصر على ثلاثة أسئلة أطرحها على الوطنية والقومية
والاخلاص :

النائب العام: أيتها الوطنية التي مرغ وجهك وعفّر حياك !

مَن مِنَ الْمُتَهَمِينَ أَرْضَاكَ وَأَكْرَمَكَ وَعَزَزَ جَانِبَكَ
وَشَدَّ أَرْكَكَ وَدَافَعَ عَنْكَ وَلَمْ يَفِدْ مِنْ تَرْتَمِهِ بِاسْمِكَ ؟
الوطنية : خذلني الجميع ، ولم يفز أحد من هؤلاء المتهمين ببركتي
ودعائي !

النائب العام : أيتها القومية ! مَن مِنَ الْمُتَهَمِينَ الماثلين أمام المحكمة
المؤيدة من الشعب جاهداً في سبيل اسمك ، ونافح
عنيك ، ودفع الولايات عن ساحتك ، وأثبطت المؤامرات
التي حيككت للنيل من شرفك ؟ مَن مِنْهُمْ اقتدى
بالأوائل من الأبطال فكرس حياته لخدمتك
ووقفها عليك ؟ !

القومية : خيب الجميع فألي بعد أن تغنوا باسمي ، وبعد أن ملأوا
الدنيا ضجة وصياحاً . . وقد باعوني واشتروني وكأني
عبد رق يتصرفون بي في سوق النخاسة ويساومون
على ثمني !

النائب العام : أيها الاخلاص ! هل أخلص لك المتهمون ومحضوك الورد
والصدق ؟ وهل استجابوا عندما استفتت بهم ؟ !
الاخلاص : تخلوا عني ولم يحفلوا بي . . وكانت المآرب والغايات
الشخصية الحسيسة ، والمطامع الدنيئة تبعدهم عني وتنتأ
بهم عن حظيرتي ! وكان انيني يزيدهم بهجة ومسرة ! !
النائب العام : هذا هو اتهامي ايتها المحكمة العظيمة . . بيد أني زيادة
في الاثبات أطلب ان يمثل امامك بعض الشهود ،
وسأقتصر على اربعة منهم . . فاقصة واحدة وان

اختلفت طريقة روايتها

الوطنية : لا تثريب عليك ، فمن هم شهودك ؟

النائب العام : الأم يا مولاي وفتاة الوطن واليتيم والجندي !

(وينشق باب في تلك الاثناء ، ويهب منه ريح صرصر شديد على وجوه المتهمين .. ثم يبدو ظل يتقدم ويبدأ ويتقرب ببطء .. وما يعتم الظل الفامض أن يلج القاعة المعتمة فإذا به امرأة متسرבלة بالسواد مطرقة الى الأرض)

الوطنية : أيتها الأم .. أيتها الانسانة الفانية .. انستطيعين الكلام ؟ أم أغنيك عن مشقة الافضاء بما في نفسك رحمة بشخصك الضعيف ؟

الأم : انا طوع أمرك يا سيدي

الوطنية : تكلمي إذاً .. ماذا تعرفين عن المتهمين ؟ !

الأم : هؤلاء المتهمون ؟ ! ماذا اعرف عنهم ؟ ! الشيء

الكثير .. ولكنني أقتصر على النزر اليسير .. فهم الضراوة والجشع والطمع والأثرة ممثلة في شخصهم ! وهم التناسف والتنابد والحسد والقلبي متجسمة فيهم ! كل منهم أظهر لي من الود ما يعجز اللسان عن وصفه ! وكل منهم اصطنع الغيرة علي وأبدى استعدادة للدفاع عني .. ولكن .. عندما أغار الوحش الضاري على أولادي لم يتخرجوا عن مشاركتة في تمزيق اجسامهم والتهام أشلائهم !

الوطنية : ألم يدافع أولادك عن عرضك ومالك وحياتك ؟
الأم : أجل! دافعوا بكل ما أوتوا من قوة وعزم.. وقبل ان

يلحقني هذا الأذى ، وقبل ان تتقلم الأظافر في يدي
وأيدي أولادي ، أهبت بهؤلاء المتهمين فلم يبروا بي
وأبوا أن يسعفوني ! وعندما أصيبت حماطة قلبي بالطعنة
النجلاء ، كانوا واقفين في مأمن يشاهدون مصرعي
ويتفرجون على الموت يخترمني ! هذا كل ما عندي يا
سرلاي . آه .. أنفاسي تتقطع وتتشرج في صدري ..
دعني أجلس دعني استريح ..

الوطنية : أقعدي يا امرأة .. لقد روعتني فاجعتك وأفزعتني
مصيبتك .. ان لكلامك صدى عميق الغور ، ويخيل
الي أنه رجوع لأصوات بنيك المقتولين الذين لم يؤخذ
بأرهم .. والذين يصبح الطائر الخفاف من رؤوسهم :
اسقوني ... اسقوني ... أيها النائب العام من من
الشهود تطلب ؟

النائب العام : فتاة الوطن ..

الوطنية : أين فتاة الوطن ؟

(ينشق البسبب ثانية ويهب الريح البارد العاصف
وتدخل فتاة ناحلة شاحبة يالوح على محياها الضعف والسقم)

الوطنية : تكلمي يا فتاة !

فتاة الوطن : انا الجمال .. أنا الحسن .. أنا الأمانة .. أنا العزة
والكرامة .. كنت هيفاء .. كالبدن التمّ و كنت قوية

ادلّ بقوتي ونشاطي وأتبه يجهاتي وأبطلالي .. و كنت
أبث في صدورهم الحماس والاستبسال .. وتحملت
العذاب وشاطروني التضحية وكان رجالي صناديد ذوي
جرأة وبأس ، ولكنهم ما استطاعوا الصمود دون
ذخيرة ولا مدد ، وبسلاح فاسد مشاوم .. فلما ازفت
الساعة المخيفة قتل الحماة الكهانة !

الوطنية : ويّ ! وما السبب ؟

فتاة الوطن : خيانة هؤلاء المتهمين ومهافتهم على الشهوة المذلة ..
لقد استنصرتهم فلم ينصروني أحد منهم ، واستنجدت بهم
فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار .. ولم يكن
عندي من السلاح ما أقابل به العدو عندما زحفت في
بهم الليل جيوشه كالمردة ، وعندما تقدمت دباباته
تضج وتهدر ، وعندما دمدمت مدافعها بدوي
وتزأر ، وعندما صمت رشاشاته الآذان وأزمت
طائراته كأنها شياطين الجان ...

الوطنية : كفى ... كفى ... أين اليتيم ؟ (يدخل غلامٌ عاري

القدمين مكشوف الصدر يتلفع بأسمال بالية خلقه)

الوطنية : أيها الغلام هل تتذكر شيئاً ؟

اليتيم : أتذكر .. أجل أتذكر أبي وهو يودعني .. وأشعر

بقبلاته تغمرنني .. أتذكر أبي يغادرني .. وأتذكره

مسيحياً على سريره فاقد الحركة والحياة .. وأتذكر

الناعي يقول لأمي « لقد انفجرت بندقيته في يده

فأودت بحياته .. وأتذكر ان بندقيته هذه قدمها
له هؤلاء! (وأشار بيده الى المتهمين)
ويظهر فجأة جندي أو حطام جندي، يتكئ على عصا
ويظعن بمشيته وقد عصب رأسه بضامة ملطخة بالدماء
والأوحال

النائب العام: ها هو الجندي ياسيدي الرئيس .. الجندي الذي
خفر عهده المتهمون ..

الجندي : أنا رهن إشارتك يا مولاي

الوطنية : ما اسمك يا هذا ؟

الجندي : كنت أدعى الجهاد ياسيدي .. أما الآن فقد زالت
صفتي وكنيتي !

الاخلاص : ماذا شاهدت في الميادين ؟

الجندي : شاهدت ميلاد مجدي وموته !

القومية : وكيف خطر في بالك ان تخوض غمار الحرب
ووراءك أسرة وأطفال ؟

الجندي : لم أفكر في القتال إلا عندما سمعت من الأقوال ما
أفعم قلبي بالبهجة والحبور ..

ولم أخض المععان إلا عندما غنت نساء الوطن أغنية
المجد والخلود !

القومية : وماذا رأيت هناك ؟

الجندي : رأيت القومية في اول الأمر متمسكة حائل الشجاعة
والتضحية . وكنا نسمع ونحن في الميادين القصص

الرائعة عن التناسق والانسجام في جهود المتهمين ،
وعن تضافرهم على الخير ، فنحمد الله ونبتهل اليه ونحن في
حومة القتال ، أن يدعم هذه الأواصر ويطيل مدة
التأخي ويديمها .. ولكن .. شيئاً فشيئاً بدأت
عيوننا تفتح على الحقيقة المرة ساعة احتجنا الى
السلاح فلم يرسلوا إلاّ "الفاسد منه" ، والى الرجال فلم
يعضدونا إلاّ "بالقليل منهم" .. كنا قلة يا سيدي ولكن
الله جاد علينا بشباب لهم شجاعة الليوث .. وكان
يخيل إلي والمعارك محترمة بأننا فرد واحد يعمل
لمدف واحد !

الوطنية : فماذا اخركم عن اوطاركم ؟
الجندي : قعد بنا المال والسلاح كما أسلخت عن إبراز بأسنا ..
فلو اتاحه لنا المتهمون لتمسكنا بكل شبر من البلاد
ولدمرنا العدو وقهرناه وغلبناه على ام .. وره لكن
- كما قلت - كنت أدعى الجهاد .. اما الآن فأنا
إسم علامسى ! او ظل مارد جبار ذهب المارد
وبقي الظل يهيم على وجهه من الحزي والعار !

النائب العام : أيتها المحكمة التي توفرت فيك كل شروط العدالة
القدسية ، والتي تمثل بأعضائها ارادة الشعب وتضحيته
ومشيئته ! إن اللجة ذهبت بآلاف المحاربين ، إن الحن
القاسية التي احابت الشاهد الأخير ولم تبق منه الا اثر
انسان هي الدليل الكافي على ان إيداع البلاد أمانة

في يد غير ثقة ، قد جرت هذه الرزايا !
وإن من بدع المتهمين ايضاً الكذب والتمويه ،
فبينما هم في خلاف على الأسلاب لا يفترو ولا يخف ،
إذ بهم يُرجفون على الشعب بأنهم متفقون في الرأي
والمبدأ والغاية ! وبيدنا هم يأفكون على الأمة فيبدون
أمامها أفوياء مخلصين ، إذا بالأطماع تشيؤهم ، فتنهدم
الألفة الزعومة ، ويتقوض الاتحاد . . . ثم تنكشف
السرائر وتظهر الحبايا ، فإذا بالطمع والحسد والغيرة
هي موطن الداء وأصل البلاء . . . ثم تعصف الرياح
بترهاتهم وأهوائهم ، فلا يبقى أي أثر لما صرحوا به
وأكدره ، ووعدوا الأمة والشعب بتنفيذه ! ويخيل
إلي أنه راق لهم ان يشاهدوا هذا الشعب الكريم
يتضور من الألم ، ويتألم من العذاب ، ويئن تحت
ضربات العدو والصديق على السواء ! !

يا محكمة الشعب ! يا من تمثلت فيك الوطنية والقومية
والاخلاص . . . ايتها القوة المائلة المنتقمة الجبارة
المنبثة من ملايين القلوب والصدور ! هذه قضية الشعب
الأولى أطررها أمامك لتبتي فيها ، وفق العدل
والحق والانصاف . . . !

الوطنية : اللهم ! لا تزل القدم والهمنا ما فيه الحق والعدل
والانصاف . . . حتى لا يظلم بريء ويغضى عن مجرم !!
الوطنية : إن محكمة الشعب المنعقدة بمشيئة الله . . . تحت ظل

الشعب .. والمؤلفة من الوطنية والقومية والأخلاص ..
'تدين المتهمين .. وترفع مجشوع وتمهيب أوراقهم الى
الديان الاكبر !

❦

ونظر إني المخبر بهذه القصة التي اماطت اللثام عن
أبشع مأساة شهدها البشرية منذ الأزل ، وقال :
« لقد تم تنفيذ الحكم في أربعة من المجرمين ..
وان سبعة منهم آخربن لا يزالون ينتظرون
مصيرهم المحتوم !!

كيف تزوجت

❦

كنت مغرقة في التفكير في ذلك اليوم الذي لن يفيب ذكره
عن بالي ، أقلب الامر الخطير على مختلف وجوهه ، وأضرب أحماساً
لأسداس ، فلا أجد حلاً لمعضلتي ، ولا ينشرح خاطري في سبيل
مستقيم الا وتتعدد السبل وتتعدد . وأوشكت لولا بقية من قوة
مضعضة وبقية من جلد واهن ان أستسلم لليأس الذي كان يحاول
الاطباق علي ونشب مخالفه في سويدائي

ومع أن الفصل كان صيفاً ، والشمس المشرقة توصل خيوطها
الذهبية خلال الأشجار ، فتبعث الدفء في كل كائن حي ، إلا أنني
أحسست بالقشعريرة الباردة تسري في بدني فترتجف منها أوصالي .
لقد حدجني خطيبي في ذلك اليوم بنظرة مفعمة باللوم والتأنيب
وقال :

« فأنت إذاً ترومين فعم خطبتنا ونكث العهد المقدس الذي
يربطنا ؟ »

فأجبتته وانا مطرقة برأسي مفضية بطرفي :
« أناشذك الله أن تتعد في إصدار الحكم ، وتتريث في إتهامي
بما أنا بريئة منه . . . ولكنك متوسط الحال تنوء بمسؤوليات كثيرة
وليس من معيل لأهلك وأبيك سواك ، فمتى بعلت بك تضاعفت
واجباتك ولا إخالك حينذاك إلا مستجيباً نداعي اليأس واضخماً
للهم والغم ، فيضعف الحب ويهزل ، وتنقلب الحياة مسرعاً لأبشع
مهزلة . . . »

فتتهيد سعيد من كبد حري وقال وهو يكاد يفص بريقه :
« إنك على حق فواجباتي كثيرة ومسؤولياتي باهظة بيد اني
أود ان أناكد من إخلاصك .. فهل تحبينني ؟ هل تحبينني ؟ »
فأجبتته وانا أنتفض من اللوعة :
« إنني أحبك يا سعيداً حباً يجمل عن الشبهات ويفوق الوصف
والادراك »

قال : « فانا إذا متشبت بعزمي على الزواج منك ، ولن أتخلى
عنك مهما كانت القيود والسدود . . . أنت صغيرة وجميلة ، وفي
وسعك الانتظار سنة أخرى ، تكونين من بعدها حرة التصرف
وتصبحين في حل من أي قيود ومواثيق »
فترددت هنيهة ثم أجبتته قائلة :

« لا يا سعيد ، لن أوافق على هذا الرأي . . لقد تعثرت نخطانا
منذ البدء ، فلنفترق بسلام ، وليذهب كل منا في سبيله ! »
لا أدري كيف طاوعني قلبي في تلك الساعة على النطق بهذه
الكلمات ، الا أنني عندما تأملت وجهه ، أدركت فوراً ان كل

كلمة فهت بها في تلك اللحظة كانت بمثابة مطرقة تهوي على أم رأسه ،
فقد شخب لونه ، وجحظت عيناه ، وجمد في مكانه مشدوهاً مبهوتاً
لا يقوى على الحركة

ومضت أيام وأنا لا أبرح أرى فيها وجه سعيد ، وأقرأ في
صفحته عبارات الألم الذي مزق صدره وجرح فؤاده

ولما ضيق الفكر على الخناق ذات يوم ، سعيت إلى حديقة البلدة
في أصيله وفي نفسي أشياء كثيرة وفي ذهني خواطر مختلفة متضاربة
تتنازعني وتمضني - فأنا أحب سعيداً رغم ما بدا مني ، وأنا لا أطيق
البعد عنه مع أنني صددته عني .. وأنا محتارة في أمري مشككة في
ما ينفعني ويضر بي .. أنظر الى سعيد لعلي أرى ما يكنه الغيب ،
فلا أرى ما يجالو لي المستقبل ، ولا أبصر الا غيوماً متلبدة
مكفهرة .. فماذا أفعل ؟ ماذا أفعل !!

وأغمضت عيني حتى لا أرى ما نزل بي من النقم . واما فتحتهما
بعد دقائق أبصرت رجلاً شخت الحلقة ابيض الناصية يخاصر امرأة
تخطت طور الشباب بسنين عديدة ..

وكانا يشيان بتؤدة ورفق وقد تخاصرا وتلاصقا وكانهما لم
يعدوا طور الشباب .. وكانا يتبادلان النظرات والضحكات
والهمسات الخافتات كأنهما عاشقان برج بهما الوجد ولعجهما الشوق ..
ولما جلسا قريباً مني ، ألقى علي الرجل نظرة فاحصة وقال :
« نخيل الي يا سيدي الصغيرة انك تعانين كثيراً من التفكير؟ »
فأجبتة مشفقة من تدخله :

« لكل انسان يا سيدي خواطره ، فأبتهل اليك ان تدعني

وشأني !»

فحدجته زوجته بنظرة عتاب ولوم وقالت : « ألم أحذرك من التدخل فيما لا يعنيك ؟ ألم أنبهك الى لزوم حدودك حتى لا تتعرض للفشل والتقريع ؟ »

فضحك الشيخ ضحكة لطيفة وقال :

« رويدك يا عزيزتي ، ما انا بالفضولي ولا بالمتطفل ، إلا اني قرأت في اسارير هذه الآنسة ما انبأني بأنها عرضة للحزن والشجن ، فاحسبت ان افرج عنها بالحديث الا انني لا اجد مندوحة عن الاعتذار لها عما بدر مني »

فرنت اليه زوجته بعطف ومحبة وقالت وهي تلتصق به :

« كنت في مثل سنك يا آنسة .. أجل ! كنت في مثل سنك عندما التقيت به .. اليس كذلك يا عزيزي ؟ كنت في مثل سنك وكان هو يكبرني بعشر سنين . وتزوجنا بعد شهر ، فذقنا الأمرين وقاسينا شظف العيش ، ولكننا احتملنا الصعاب بصبر وجلد وإيمان ، حتى اذا انفرجت الغمة وزال الخنك .. ألفينا حبنا سليماً قوياً لم يضعف منه عوزنا واملاقنا ! »

وضحكت العجوز واستملت !

« تبا لي ! لم أثقل عليك بهذا الكلام الذي لا طائل فيه ؟ »
فطوقها زوجها بذراعه وقال :

« تكلمي .. تكلمي .. ذكريني بتلك الأيام ، صفي لي تعاوننا على بذل وسعنا لنجتاز العقبات ونذلل الصعوبات بسلاح ماض صقيل - هو ايماننا وحبنا واعتقادنا بان الله ياخذ بيد المخلص الوفي ! »

فقلت : « أجل .. أجل .. اذكر كل شيء ، كما لو انه جرى
بالأمس القريب .. اذكر كل شيء يا حبيبي ، وأذكر جهادك
ونضالك وشجاعتك ونشاطك في العمل ، وتقدمك من نجاح الى
الى نجاح ، ومن فلاح الى فلاح ، حتى استتب بنا الأمر أخيراً ،
وفزنا بالراحة بعد العناء ، وظفرنا بالبلهنية بعد الضيق والشقاء !
ولما ودعاني ومضيا ، تحولت بنظري اجوس خلال الحديقة
وقد انبجست عبراتي وخفق فؤادي وشعرت بان حملاً ثقيلاً قد
نزعه هذان الشيخان عن عاتقي .. فسقياً لهما ، سقياً لهما من انسانين
كاملين وبطلين اسعدتهما شجاعتهما ومضاء عزيمتهما .. سقياً لهما لانهما
نفسا كربى وأزالا وصبي وفتحها امامي كوة شع منها نور الحقيقة
كاعظم ما يشع نور ..

وتتبعت بنظري ظل الشيخين الحبيبين ، ولم أعم أن قفرت
من مكاني وهرولت الى مسكن سعيد ، فلم أجده . فلما سألت عنه
قيل لي بأنه غادر الديار الى امريكا وترك كتاباً باسمي ..
وقرأت كلمته الرقيقة التي ضمنها كل مشاعره ، فلهفت نفسي
وبرح بقلبي الأسمى .. وقابلت بيني وبينه ، فألفيته كبيراً بقدر ما
انا صغيرة ، وألفيته متشامخاً بقدر ما انا متناهية في الضعة ، فقد
أنهى اليّ بانه سافر الى امريكا من اجلي .. سافر ليشق له طريقاً
ويجمع مالاً .. ثم ليعود من بعد موفور الكرامة عزيز الجانب ..
وتوسل اليّ في كتابه ان أنتظر أوبته فلا اختار رجلاً سواه شريكاً
لحياتي

وتصرمت الشهور بطيئة متناقلة ، وانا لا ازال أوزح تحت

وطأة همي ، و اترمض على نار غمي الذي جره علي حقي وأسفر
عنه تسرعني ..

وفي يوم كلبت فيه الطبيعة كلباً شديداً ، فزارت وعربدت ،
وولول الريح وصاطت العاصفة وتفتحت عيون السماء فأغرقت
الارض والدينا ، وردت إشارة استفاثة من الباخرة شامبليون ..
فهرول الناس على اثرها الى الشاطئء المهجور الذي يتلاطم عليه
الموج صاخباً معربداً ، فإذا بالباخرة الكبيرة جانحة على بعد قريب ،
وإذا بها تتململ كأنها وحش مبقور البطن .. وهرع المسؤولون الى
البحر الذي أوسع فريسته نهشاً وتمزيقاً ، فشاهدوا بأعينهم
صراع الطبيعة مع الانسان .. وتجلي لهم ضعف الانسان وعجزه ،
ومقدرة الطبيعة وجبروتها .. وصحبتني شقيقي في مساء ذلك اليوم
المطير الى الشاطئء المكتظ بالخلق . فما كدت أطأ الارض الرملية
المبتلة حتى ارتجفت أوصالي .. وما كدت أرمل الطرف الى
الباخرة المنكوبة حتى وجف قلبي .. ولبث ساعة انظر الى
الرجال يتسابقون في التضحية بالنفس والمجازفة بالنفيس . فأعجبت
بهذه الشهامة وأعجبت بهذه المرورة وتمنيت على الله ان يكال مساعي
هؤلاء الأبطال بالنجاح فيسلم المسافرون المساكين بما حاق بهم ..
بيد ان ضراوة البحر المستوحش لم تشأ أن تفارقه فأخفقت
المساعي وكتب على المسافرين ان يمضوا ليلتهم في حطام الباخرة -
فيجن من يجن منهم ، ويموت خوفاً من يموت ، ويصاب بالمرض
غير هؤلاء وهؤلاء ..

وشخصت العيون بغتة إلى الباخرة ، فشاهد الناس وقلوبهم

تتقطر لوعة أشخاصاً يلقون بأنفسهم في اليم ، فيفوضون في اللجة
المزبدة المتزوجة بزيت القار الأسود السام ، ويعاركون الموج
الهائج المتلاطم .. وساد سكون عجيب على الحشد ، ووان عليهم
الصمت الرهيب . ووصلت فتاة على آخر رمق ووصل صبي في
اول العمر ، ولفظ الموج رجلاً فاقد الحياة .. وبقي في اللجة رأس
واحد يفوص ويختفي ، ثم يرتفع ويظهر ... ومضت الدقائق
مستمهلة متوانية والانسان المتأرجح بين كفتين المتقلب بين الحياة
والموت يتقدم ويتأخر ، والموج العاتي يتلاعب به والحظم المتنمر
يشده الى الأعماق حتى اذا ما دنا من الشاطئ ، تلقفت الايدي شبحاً
منهاراً سودت وجهه وبدنه الزيوت المنتشرة على صفحة الماء ..
وهبت أنحوات الرحمة يعلان وهرع الأطباء الى الرجل المتهافت
المتداعي فأسقفوه بالعلاج اللازم حتى عاد اليه الرمق ودبت في
جسده الحياة

ثم انهم بعد ان اطمانوا عليه أو عزوا الى المرضين ان يحملوه
الى المستشفى

فصدع الرجال بالأمر وتعاونوا على حمله . ومرت ناقلة المرضى
قريباً مني ، وانغمضت عيني وفتحتهما .. وانغمضتهما وفتحتهما وما
لبثت ان ارتيمت على الناقلة وانا أشفق وأزفر كمن في صدره
لظاً مستهر !

ووجم الناس وتولاهم الشده .. وسمعوني أهتف من الاعماق ،
وأخاطب الرجل الذي كان مع الموت على ميعاد .. سمعوني اقول :
« انت حبيبي .. انت روحي .. انت حياتي .. فلا تنقم علي .. »

لا تحقد على من كانت السبب فيما أصابك من الأهوال .. واصفح
ان كنت مقيماً على ودي وفيماً لمهدي .. وانس هفوتي ..
وكن رحيماً بي .. فانا لك .. انا عبدتك .. وسأبقى ما حييت
زوجتك الوفية المخلصة

•

هكذا تزوجت .. وهكذا عشت أنا وسعيد في خفض وهناء،
كأحسن ما يعيش زوجان !!

الفهرس



٣	المقدمة
٥	الجبناء
١٧	طبيبة تفقد رشدها
٢٥	البحر
٣٢	حائرة
٣٨	عدل السماء
٤٥	قلب الأب
٥٠	موت عذراء
٥٩	الاديب اليانس
٦٧	الأمير ناظم
٧٣	محكمة الشعب
٨٦	كيف تزوجت

يصدر قريباً في خمسة

أجزاء متتابعة
كتاب

الحرب والسلام

تأليف

ليو تولستوي

ترجمة

اميل خليل بيدس

صنف تولستوي هذا الكتاب الخالد في
خمس سنين قضاها في الدرس والبحث والتمحيص
حتى اتمه على غاية الاتقان. واستعرض فيه حياة
طائفة من الملوك والامراء والنبلاء الذين
عاصروا نابليون وحروبهم. وضمنه
من أخبار الطبقة المترفة المنعمية ما لم
يأت بمثله سواه من الكتاب

تطلب كتب المؤلف من

مكتبة المثني	- بغداد
مكتبة الخانجي	- القاهرة
مكتبة النهضة السودانية - الخرطوم	
المكتبة العمومية	- المملكة الاردنية الهاشمية
مكتبة النظام	- دمشق
مكتبة زبليط	- طرابلس

وتوزع في جميع الاقطار العربية

بواسطة

الكتب العربية

للطباعة والتوزيع والنشر

بيروت شارع سوريا - بناية درويش

ص. ب. رقم (٢٦٦٨) تلفون ٢٣ - ٠ - ٢